

# المنهج البلاغي

## في دراسة الموضوع القرآني

إعداد

دكتور/ يوسف بن عبدالله العليوي  
أستاذ البلاغة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
المملكة العربية السعودية

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م



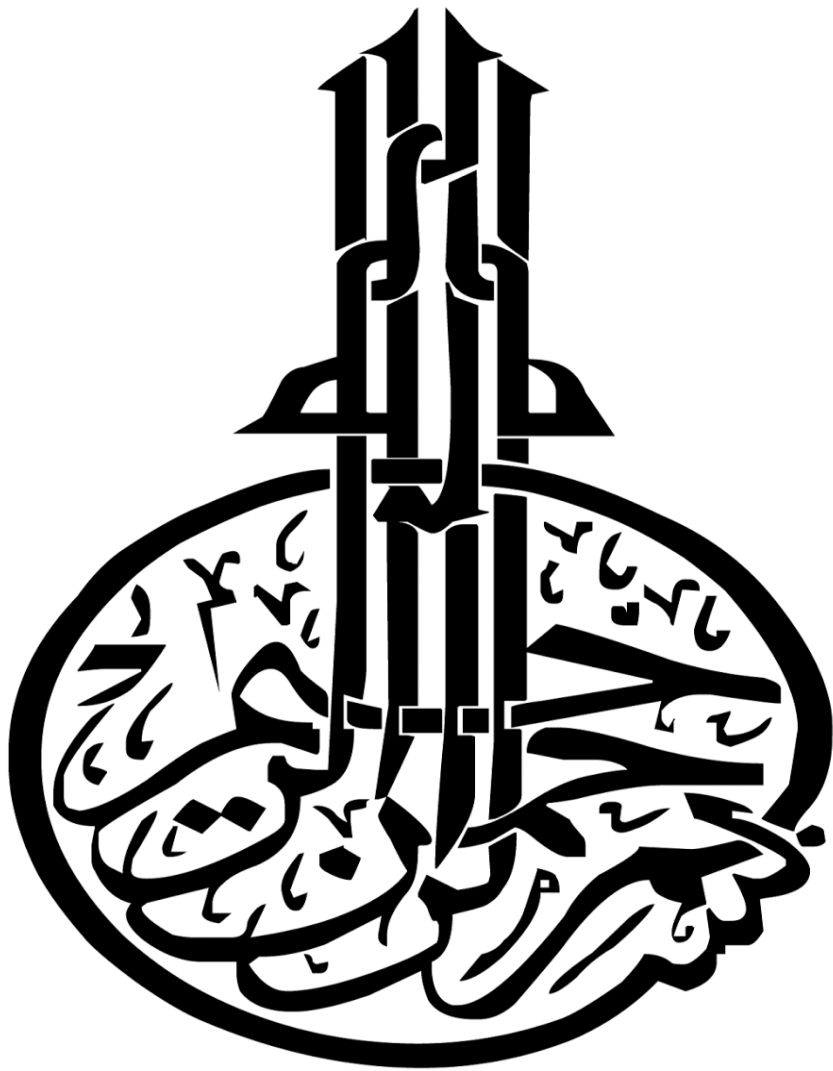




إصدار ديسمبر  
٢٠٢٣

المنهج البلاغي في دراسة الموضوع القرآني

العدد الثامن  
والثلاثون





## المنهج البلاغي في دراسة الموضوع القرآني

يوسف بن عبد الله العليوي  
قسم البلاغة، كلية اللغة العربية، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية،  
السعودية.  
البريد الإلكتروني:

[Yosef333@gmail.com](mailto:Yosef333@gmail.com)

### ملخص البحث:

يهدف البحث إلى اقتراح منهج لدراسة الموضوع القرآني دراسة بلاغية، تتناسب مع خصوصية القرآن وبلاغة نظمه. وبعد النظر فيما قدمته دراسات التفسير الموضوعي من منهجيات وضوابط، وما أنجز من دراسات بلاغية للموضوع القرآني، وفي السمات المهمة للموضوع القرآني؛ توصل البحث إلى: أن من سمات الموضوعات القرآنية المؤثرة في دراسته بلاغياً: تعدد الموضوعات في السورة، وتفرق الموضوع وتصريفه في السور، وتنوع الموضوعات وشمولها لكل مناحي الحياة، وتعالق الموضوعات، وتنوع أساليب البيان عن الموضوع، وأن الأسس المنهجية المهمة التي تقوم عليها الدراسة البلاغية للموضوع هي: - الإيمان بأن القرآن كلام الله جل جلاله. - وظيفة البلاغي المتلقي: تبين مقاصد الرب جل جلاله. - الوحدة الكلية للقرآن. - وحدة السورة. - السياق.، وأن الإجراءات المهمة التي يتبعها الدارس للموضوع القرآني هي: - استقراء آيات الموضوع وتصنيفها. - الكشف عن سياقات الموضوع المقامية والمقالية. - تحليل العلاقات التناسبية للموضوع. - دراسة المصطلحات الرئيسة للموضوع ودلالاتها السياقية. - تحليل نظم الموضوع على اختلاف مواضعه تحليلاً إجمالياً. - رصد الظواهر الأسلوبية في البيان عن الموضوع على اختلاف مواضعه. - بيان وجوه الاختلاف بين المواضع في البيان عن الموضوع. - رصد التحولات الموضوعية

والأسلوبية بحسب النزول. - دراسة تنامي الموضوع وتنوع قضاياها بين السور.  
والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية: المنهج البلاغي - دراسة الموضوع - الموضوع القرآني -

دراسة بلاغية - مع خصوصية القرآن.



## The rhetorical approach in studying the Qur'anic topic Youssef bin Abdullah Al Aliwi

Department of Rhetoric, College of Arabic Language,  
Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Saudi  
Arabia

**Email:** [Yosef333@gmail.com](mailto:Yosef333@gmail.com)

### Abstract:

The research aims to propose a method for studying the Qur'anic topic, a rhetorical study, commensurate with the specificity of the Qur'an and the eloquence of its compositions. After considering the methodologies and controls provided by objective interpretation studies, the rhetorical studies that have been accomplished on the Qur'anic topic, and the important features of the Qur'anic topic; The research concluded: 1) that among the features of the Qur'anic topics that influence his study rhetorically are: the multiplicity of topics in the surah, the differentiation of the topic and its conjugation in the surahs, the diversity of the topics and their inclusion of all aspects of life, the interrelationship of the topics, and the diversity of methods of explaining the topic. 2) that the foundations The important methodology upon which the rhetorical study of the subject is based is: - Belief that the Qur'an is the word of God Almighty. - The function of the recipient rhetorician: clarifying the purposes of the Lord Almighty. - The total unity of the Qur'an. - Surah unit. - Context. 3) The important procedures that the student of the Qur'anic topic follows are: - Extrapolating the verses of the topic and classifying them. - Revealing the topic's metaphorical and essay contexts. - Analyzing the proportional relationships of the topic. - Studying the main terms of the topic and their contextual meanings. - Analyzing the subject's systems in its various contexts in a comprehensive manner. - Monitoring stylistic phenomena in statements about the topic in its various contexts. - Explaining the differences

between the places in the statement about the topic. - Monitoring the thematic and stylistic shifts according to the revelation. - Studying the growth of the topic and the diversity of its issues among the surahs. Praise be to God, Lord of the Worlds.



**Keywords:** Rhetorical approach - Study of the subject - Qur'anic topic - Rhetorical study - With the specificity of the Qur'an.





### المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على من أرسله الله بالقرآن رحمة وهدى، وعلى آله وصحبه أولي النهى، خير من تدبر القرآن وبه اهتدى، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الصلة بين البلاغة والقرآن وعلومه صلة وثيقة، منذ أن نزل هذا الكتاب المبارك بلسان عربي مبين.

ولهذه الصلة الوثيقة تنوعت مجالات البحث في بلاغة القرآن الكريم قديماً وحديثاً، ومما تناوله البحث البلاغي مؤخراً: دراسة الموضوعات القرآنية. وجاء الاهتمام بهذا النوع من الدراسات تبعاً لاهتمام الدراسات القرآنية بالتفسير الموضوعي، الذي يقوم على جمع الآيات المتفرقة المتعلقة بموضوع واحد، ودراسة ما فيها من قضايا، وفق منهجية محددة<sup>(١)</sup>.

وبعض الدراسات التأصيلية والتطبيقية للتفسير الموضوعي لم تُغفل البلاغة<sup>(٢)</sup>، وإن كانت لم تولها الاهتمام الكافي، الذي يسهم في إثراء الدراسات وإبراز مكونات الموضوعات.

ودراسة الموضوع القرآني لا تقف عند تصنيف قضاياها التي وردت في القرآن،

(١) ينظر: التفسير الموضوعي، للكومي (ص ١٣-١٤)، والمدخل إلى التفسير الموضوعي، لسعيد (ص ٢٠-٢١)، ودراسات في التفسير الموضوعي، للألمعي (ص ١١)، ومباحث في التفسير الموضوعي، لمسلم (ص ١٣).

(٢) ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن، للكومي (ص ٣٤)، والمدخل إلى التفسير الموضوعي، لسعيد (ص ١١٦)، ومباحث في التفسير الموضوعي، لمسلم (ص ٥١ و ٥٣ و ٥٩)، وموسوعة التفسير الموضوعي (١/٢٣-٢٤).

وتناول ما فيها من أحكام وآداب وهدايات.

هذه غاية مهمة جداً يقوم عليها التفسير الموضوعي، لكن ثمة جوانب أخرى في النظر إلى الموضوع القرآني، تتعلق بطريقة عرض القرآن له، وأساليب الخطاب به على اختلاف السياقات الزمانية والمكانية والمخاطبين.



وهذه جوانب بلاغية مهمة، ليس لبيان الدلالات والهدايات فحسب، ولكن أيضاً في جانب آخر تتعلق به الدراسة الموضوعية، وهو تبليغ الموضوعات إلى الناس، ودعوتهم إليها بالطرق والأساليب التي أبان بها القرآن عن موضوعاته، واتبعها في دعوة الخلق، والله جل جلاله قد قال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء: ٩].؛ فلا يكفي النظر إلى المعنى المحمول دون النظر في النظم الحامل، إذ الاقتصار على المحمول يؤدي إلى قصور في تصور الموضوع وفي طريقة تبليغه؛ والنظم منهج في القول، يكشف عن تمام المراد.

ولا يعني هذا النظر في نظم الآيات لفظة لفظة وتركيباً تركيباً، إذ التركيز على هذا محله التفسير البلاغي، الذي يفيد بصورة أكثر التفسير التحليلي<sup>(١)</sup>، ولكن الدراسة البلاغية للموضوع تهدف أكثر ما يكون إلى الكشف عن سمات نظمه: الأسلوبية، والمضمونية.

أما السمات الأسلوبية فتتعلق بتحليل وجوه البيان عن الموضوع على اختلاف مواضعه، والظواهر الأسلوبية فيها، والمتشابه بينها والمختلف، وتعليل ذلك في ضوء سياقات الموضوع المقامية والمقالية.

(١) التفسير التحليلي هو الذي يتناول بيان الآيات حسب ترتيب المصحف لفظة لفظة وتركيباً

وأما السمات المضمونية فتتعلق بالنظر في حركة الموضوع داخل السور، وفيما بينها، سواء بحسب ترتيب النزول أم بحسب ترتيب المصحف، وتحليل العلاقات المعنوية بينه وبين الموضوعات الأخرى المصاحبة له، وكذلك بين مواضعه في السور المختلفة.

ولم أجد لهذا المجال في الدراسة البلاغية مثلاً لدى المتقدمين، أما في العصر الحديث فإن الأقسام العلمية التي تعنى بالبلاغة تحفل بعدد كثير من الدراسات للموضوع القرآني.

وهذا توجه يحمد للبيئة البلاغية؛ لاستمرار عنايتها بكتاب الله عز وجل، وتنوع مجالات البحث البلاغي فيه.

ولكن أمام هذا الكم من الدراسات تثور عدة تساؤلات:

☞ ما الغاية من الدراسة البلاغية للموضوعات القرآنية؟

☞ وما المنهج البلاغي الأنسب في دراستها؟

☞ وما أسس هذا المنهج وضوابطه وإجراءاته، التي يسير وفقها الباحث

البلاغي؟

إنها تساؤلات مشروعة لمن يعيش في البيئة البلاغية، ويسعى إلى أن يكون للدراسات البلاغية منهجية واضحة في كل مجال من مجالات البحث فيها، وخصوصاً أن الدراسات التي تتناول الموضوع القرآني تتعامل مع كتاب مقدس هو القرآن الكريم، مما يقتضي أهمية وجود منهجية منضبطة في دراسة هذا المجال تليق بالقرآن الكريم.

ولم أجد - في حدود اطلاعي - دراسة تقترح منهجاً في التحليل البلاغي

للموضوع القرآني.

ولذا جاء هذا البحث يهدف إلى تقديم منهج مقترح لدراسة الموضوع القرآني دراسة بلاغية، تتناسب مع خصائص القرآن الكريم وبلاغة نظمه.

وسيفيد البحث في تقديم المنهج المقترح من المنهجيات والضوابط التي قدمها علماء التفسير المعاصرون فيما يسمى بالتفسير الموضوعي، وكذلك من الدراسات البلاغية التي تناولت الموضوع القرآني.

وجاء البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما التمهيد فتناول: مصطلحات البحث، وآلية اختيار الموضوع القرآني، وأهمية الدراسة الموضوعية للقرآن.

وأما المبحث الأول فتناول: سمات الموضوع القرآني.

وأما المبحث الثاني فتناول: أسس المنهج.

وأما المبحث الثالث فتناول: إجراءات المنهج.

وإنما جعلت "سمات الموضوع القرآني" مبحثاً مستقلاً، ويمكن أن يوضع في التمهيد؛ لأن هذه السمات ينبنى عليها كثير من أسس المنهج وإجراءاته.

أسأل الله أن يكتب لي فيه سداد القول، وأن يعفو عن الزلل، وبه أستعين وهو

حسبي ونعم الوكيل.



## تمهيد

أولاً: مفهوم "الموضوع القرآني":

أما "القرآن" فهو مصطلح اختص به كتاب الله جل جلاله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، ويتكون من (١١٤) سورة، تبدأ بسورة الفاتحة وتختتم بسورة الناس. وأما "الموضوع" فيطلق ويراد به في سياق البحث العلمي: القضية أو الفكرة التي هي محل البحث والدراسة، والتي يدور حولها الحديث والحوار، يقال: تكلم في موضوع كذا، وحاوره في هذا الموضوع، وبحث ذلك الموضوع، وتناوله بالدراسة. وعرفه "المعجم الوسيط" بأنه: «المادة التي يبنى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه»<sup>(١)</sup>.

أي أن "الموضوع" هو مضمون الكلام، والفكرة التي يعبر عنها النص. وعلى ما سبق فالمراد بالموضوع القرآني: القضية (الفكرة) التي تناولها القرآن الكريم في سورة أو أكثر<sup>(٢)</sup>.

وذكر الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد أن الموضوع في اصطلاح علماء التفسير هو: «القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم، ولها جهة واحدة تجمعها؛ عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة»<sup>(٣)</sup>.

والسورة قد تقوم كلها على موضوع واحد، كسورة نوح والقدر والعصر

(١) المعجم الوسيط (مادة: وضع)، وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (مادة: وضع)، ٣/ (٢٤٥٧).

(٢) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، لسعيد (ص ٢٠)، ومباحث في التفسير الموضوعي، لمسلم (ص ١٦).

(٣) المدخل إلى التفسير الموضوعي، لسعيد (ص ٢٠).

والكوثر والإخلاص. وقد تكون مشتملة على أكثر من موضوع، كالسور الطوال. ومن الموضوعات القرآنية موضوع "الإنفاق"، وورد في أكثر من سورة: البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة والرعد وإبراهيم والنحل والحج والفرقان، وغيرها من السور، فيجمعها الدارس في موضع واحد ويتناولها بالتصنيف والتحليل والاستنباط.



### بين الموضوع القرآني والمصطلح القرآني:

هل يدخل ضمن دراسة الموضوع القرآني دراسة المصطلحات؟ قبل الجواب يحسن الوقوف على مفهوم "المصطلح". و"الاصطلاح" لغة يأتي بمعنى: الاتفاق والاجتماع على أمر ما، ويأتي بمعنى التصالح؛ لأنه اتفاق على الصلح (السلم)<sup>(١)</sup>.

واصطلاحاً بمعنى: وضع اسم للدلالة على مفهوم ما<sup>(٢)</sup>. والمفهوم: فكرة (أو قضية، أو صورة ذهنية) يرمز لها باسم مصطلح عليه<sup>(٣)</sup>. فالمصطلح هو الاسم الموضوع للدلالة على مفهوم ما. وهذا الاسم عنوان موجز للمفهوم؛ يتكون من لفظة واحدة أو ألفاظ يسيرة، لكنها تختزن في داخلها كمًّا من المعارف والأفكار، يستدعيها الذهن بمجرد سماع مصطلحها.

وعلى هذا إذا كانت الدراسة للمصطلح باعتباره مفهومًا أو عنوانًا لقضية؛ فهي

(١) ينظر مادة (صلح) في: تهذيب اللغة للأزهري، والصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده، ولسان العرب لابن منظور.

(٢) ينظر: التعريفات، للجرجاني (ص ٢٧)، والكليات، للكفوي (ص ١٢٩-١٣٠)، وكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (١/ ٢١٢).

(٣) ينظر: الكليات (ص ٧٩٥، ٨٦٠).

داخلة في فضاء الموضوع القرآني.

وأما إذا كانت الدراسة له باعتباره كلمة اختيرت في سياق نظمي؛ فهي غير داخلة، وإنما لها مجال آخر يتعلق بدراسة المفردات ودلالاتها.

وبعض دارسي التفسير الموضوعي يتسمح في إدخال دراسة المفردات ضمن التفسير الموضوعي، ويضربون من الأمثلة لها معاجم ألفاظ القرآن كمفردات الراجب، وكتب الوجوه والنظائر<sup>(١)</sup>.

وعلى كل إذا كانت دراسة المصطلح لا تتجاوز دلالة لفظه وخصوصية نظمه، إلى دراسة المفهوم المتعلق به؛ فإنه لا يعد من الموضوع القرآني.

وموسوعة التفسير الموضوعي التي أصدرها مركز تفسير للدراسات القرآنية<sup>(٢)</sup> لم تجعل المصطلحات من الموضوعات القرآنية، تقول الموسوعة: «وأما ضابط الموضوع القرآني: فهو أن يكون موضوعاً تحدث عنه القرآن؛ إما بألفاظه الصريحة، أو بمعانيه، ويدخل في ذلك الأعلام أو الأقسام الذين تحدث عنهم القرآن. ولا يدخل في نطاق الموسوعة دراسة المصطلح القرآني، أو الأساليب القرآنية»<sup>(٣)</sup>.

### بين الموضوع القرآني ومقاصد السور:

المراد بمقصد السورة: الغرض العام الذي سبقت السورة من أجله<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: منهج التفسير الموضوعي، لرشواني (ص ١٧٧).

(٢) موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم عمل موسوعي محكم، شارك فيها (١٦٦) باحثاً و(١٠٠) محكم، بإشرافٍ وتحريرٍ من مركز تفسير للدراسات القرآنية بالمملكة العربية السعودية، وحوت الموسوعة في طبعها الأولى (عام ١٤٤٠هـ) على (٣٥٤) موضوعاً قرآنياً، في (٣٦) مجلداً مطبوعاً، ولها موقع على الإنترنت <https://modoe.com>. (وتطبيق للجوال).

(٣) موسوعة التفسير الموضوعي (١/١٩).

(٤) ينظر: مصاعد النظر (١/١٤٩)، وعلم مقاصد السور (ص ٧ و٨)، والوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية (ص ٩٢-٩٧).

وثمة علم قرآني باسم "علم مقاصد السور" يعنى بتدبر سور القرآن؛ لاستنباط مقاصدها، التي ترجع إليها جميع أجزائها من آيات وفصول وقصص وموضوعات، وألف فيه البقاعي (ت ٨٨٥هـ) كتابًا بعنوان "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور".



### وهل المقصد هو الموضوع؟

إذا صح أن السورة تقوم على مقصد كلي وغرض عام، وأن من السور ما تتعدد فيها القضايا (الموضوعات)؛ فإن المقصد حينئذ ليس هو الموضوع بإطلاق، وإنما هو الغرض من إيراد الموضوع أو الموضوعات، فسورة "نوح" مثلاً موضوعها يقوم على دعوة نوح عليه السلام لقومه، ومواقفهم منه، وعاقبتهم. لكن المقصد من السورة ليس مجرد عرض لقصة نوح، وإنما التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتأنيسه في مواجهة قومه له وتكذيبهم إياه، والتعريض لقومه بسوء عاقبتهم إن تمادوا، كما حصل لقوم نوح عليه السلام.

والمقصد حينئذ سيكون سياقاً للموضوعات، ولخصوصيات نظمها؛ يتبين من خلاله وجوه التناسب بين الموضوع وبين السورة، وبينه وبين الموضوعات الأخرى السابقة واللاحقة، وأسرار اختيار ألفاظها، وأحوال تركيبها، والفرق بين الموضوع في السورة وبينه في السور الأخرى<sup>(١)</sup>.

(١) قد يطلق بعض العلماء على مقصد السورة مصطلح "الموضوع" ويعبرون أحياناً بـ "موضوع السورة" أو "الموضوع الأساسي" أو "الموضوع الكلي"، ويأتي هذا الاصطلاح في إطار ما يسمى "الوحدة الموضوعية للسورة". والأمر في التسمية واسع، ولا مشاحة هنا في الاصطلاح. والتوصل إلى هذا "الموضوع الكلي" الذي يتعلق بمقصد السورة جزء من الدراسة الموضوعية، بل هو مُقَوِّمٌ من مُقَوِّماتها.



## بين الموضوع القرآني والوحدة الموضوعية للسورة:

هل تعد دراسة الوحدة الموضوعية للسورة من دراسة الموضوع القرآني؟  
لننظر قبلُ في مفهوم "الوحدة الموضوعية للسورة"، وهو مصطلح حادث في  
الدراسات القرآنية، تَسَرَّب من الدراسات النقدية التي تبحث في الوحدة العضوية  
للقصيدة أو للنص<sup>(١)</sup>.

وربما عُبر عنها بمصطلحات أخرى، كالوحدة المعنوية، والوحدة العضوية،  
والوحدة البنائية، والوحدة النسقية، والوحدة السياقية، ووحدة السورة، ونظام  
السورة، وعمارة السورة...

ومن خلال التعريفات التي قيلت فيها<sup>(٢)</sup> فإنه يقصد بها أن تكون للسورة غاية  
كلية، تتطافر آيات السورة وفصولها وقضاياها لتجتمع عليها، مهما طالت السورة  
وتنوعت موضوعاتها.

والهدف من دراسة الوحدة الموضوعية إثبات وحدة السورة وكلية نظمها، بينما  
الهدف من دراسة الموضوع القرآني تفصيل ما فيه من قضايا وهدايات. وتناول  
الموضوعات في الوحدة ليس على وجه التفصيل، وليست مقصودة لذاتها، وإنما  
لإثبات وحدة سورتها، بينما تناول الموضوع القرآني مقصود به ذاته وبيان ما فيه من  
مسائل.

فالوحدة الموضوعية -على هذا- لا تدخل في مفهوم الموضوع القرآني، وإن  
كانت مهمة في دراسته<sup>(٣)</sup>.



(١) ينظر: منهج التفسير الموضوعي، لرشواني (ص ٢٣٢، ٢٣٦).

(٢) ينظر: التفسير الموضوعي، للكومي (ص ٢٢)، والمدخل إلى التفسير الموضوعي، لسعيد  
(ص ٢٥)، ومنهج التفسير الموضوعي، لرشواني (ص ٢٤٣).

(٣) ينظر: منهج التفسير الموضوعي، لرشواني (ص ٢٤٤ وما بعدها).

## ثانياً: اختيار الموضوع القرآني:

على ما سبق فإنه يراعى في اختيار الموضوع القرآني وتحديد آياته ما يأتي:

(١) أن يكون قضية ذات أبعاد فكرية، وليست مجرد مفردة لغوية، كدراسة تصريفات مادة "رحم" مثلاً، أو أسلوباً من أساليب البلاغة كالتشبيه في القرآن، أو علماً من علوم القرآن كالنسخ في القرآن.

(٢) أن يكون القرآن تناوله، سواء أكان بصورة صريحة أم غير صريحة، بلفظه أم بمعناه، أم من خلال ما يتعلق معه من موضوعات، أم مما صح استنباطه من آياته وقصصه؛ فلا يصح -على هذا- أن يكون من الموضوعات "غاز الأوزون في القرآن الكريم" انطلاقاً من توهم إرادته في قول الله تعالى: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨]. قال الدكتور عبدالستار سعيد: «ومن ذلك ما يتكلفه بعض الباحثين من موضوعات تفصيلية، لم يُعْنِ القرآن بذكر أعيانها، فينسبها للقرآن، مثل بحث بعضهم عن "الأطباق الطائرة في ضوء القرآن"، ومثل "القنبلة الذرية في القرآن"» (١).

(٣) أن يكون قضية حاضرة في عدد من سور القرآن، أو في سورة منه؛ تناولها القرآن بإطناب، وبمضامين وأساليب متنوعة، وتكون المسائل والقضايا الفرعية قد تناولها القرآن، وأما أن يأخذ الباحث عنواناً من القرآن، ثم يتناوله بتفصيلات وتفريعات لم ترد فيه فهذا إخلال بالدراسة الموضوعية للقرآن.

ولا يكفي لدراسة موضوع قرآني مجرد الإشارة إليه في آية واحدة، كدراسة "البعوضة في القرآن الكريم" انطلاقاً من الآية الوحيدة التي ذكرت البعوضة: ﴿ إِنَّ

(١) المدخل إلى التفسير الموضوعي، لسعيد (ص ٥٩).

اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴿٦٦﴾ [سورة البقرة: ٢٦].

(٤) تعدد القراءات؛ فإن القراءة قد تعدل بالآية من قضية إلى قضية، فيكون

هناك تنوع في الموضوعات، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ

الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ [سورة الأنعام: ٥٧]، قُرى: "يَقْضُ" من

الْقَضْص، و"يَقْضِي" من القضاء<sup>(١)</sup>، وكما في قوله سبحانه: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ

﴿١٣﴾ [سورة الصافات: ١٢]، قُرى: "عَجِبْتَ" بالخطاب وصفاً للنبي ﷺ،

و"عَجِبْتُ" بالتكلم وصفاً لله جل جلاله<sup>(٢)</sup>، وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى

الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ [سورة التكويد: ٢٤]، قُرى: "ضَنِين" من البخل، و"ظَنِين" من

الالتهام<sup>(٣)</sup>.

(٥) اختلاف المفسرين في توجيه الآية؛ فإن الآية على توجيه قد تكون داخلة في

موضوع ما، وعلى التوجيه الآخر تخرج عنه، كما في قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ

أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ

(١) ينظر: التيسير في القراءات السبع، للداني (ص ١٠٣)، والنشر في القراءات العشر، لابن

الجزري (٢/٢٥٨).

(٢) ينظر: التيسير في القراءات السبع، للداني (ص ١٨٦)، والنشر في القراءات العشر، لابن

الجزري (٢/٣٥٦).

(٣) ينظر: التيسير في القراءات السبع، للداني (ص ٢٢٠)، والنشر في القراءات العشر، لابن

الجزري (٢/٣٩٨).

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّيِّبِينَ وَعَاقِيَ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ  
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴿١٧٧﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]، اختلف في مرجع الضمير في قوله:  
"عَلَىٰ حُبِّهِ": هل هو إلى المال؟ أو إلى الله جل جلاله؟<sup>(١)</sup> وعلى كل قول تتناول  
الآية جانباً من الموضوع؛ فإذا كان المرجع إلى المال فتتناول جهاد النفس في  
الإنفاق لإيثار المذكورين بالمال، وإن كان المرجع إلى الله عز وجل فتتناول الدافع  
إلى الإنفاق وبذل المال للمذكورين.



وَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْيَهُودِ: ﴿أَمْرٌ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ  
فَضْلِهِ ۗ﴾ [سورة النساء: ٥٤]، اختلف المفسرون في المقصود بـ"الناس" في  
الآية: هل هو النبي محمد ﷺ؟ أو العرب؟<sup>(٢)</sup> وسيختلف الموضوع الذي تصنف فيه  
الآية؛ بحسب القول الذي يذهب إليه الباحث.

٦ أسباب النزول؛ فإن سبب النزول يحدد موضوع الآية أو جانباً يتعلق به،  
كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ ﴿٧﴾ فَإِذَا  
قُرْآنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۗ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۗ ﴿١٩﴾﴾ [سورة القيامة: ١٦-١٩].

ذهب بعض العلماء إلى أن الخطاب في هذه الآيات على نسق الخطاب الجاري  
للإنسان المذكور من أول السورة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ ۗ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدَرِينًا  
عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۗ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۗ ﴿٥﴾﴾ [سورة القيامة: ٣-٥]<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر في تفسير الآية: أحكام القرآن للجصاص، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي.

(٢) ينظر في تفسير الآية: جامع البيان للطبري، وموسوعة التفسير المأثور.

(٣) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (سورة القيامة: آية ١٦).

ولكن الصحيح أن الخطاب للنبي ﷺ، وجاء منصوباً عليه في حديث ابن عباس  
 ؓ قال: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفثيه، فأنزل الله عز  
 وجل: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [سورة  
 القيامة: ١٦-١٧]. قال: جمعه في صدرك، ثم تقرأه: ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) [سورة  
 القيامة: ١٨]. قال: فاستمع له وأنصت، ثم إن علينا أن تقرأه. قال: فكان رسول  
 الله ﷺ إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه. وفي  
 رواية: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه يريد أن يحفظه، فأنزل الله:  
 ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) متفق عليه (١).

فسبب النزول يوضح أن الآيات تتعلق بموضوع "الوحي" وتلقي النبي ﷺ له،  
 على خلاف القول الأول.



(١) أخرجه البخاري (٥، ٤٦٤٣)، ومسلم (ح ٤٤٨).

### ثالثاً: أهمية الدراسة الموضوعية للقرآن؛

جمع الآيات وتصنيفها تصنيفاً موضوعياً ودراسة ما تحويه من قضايا ومضامين من الأهمية بمكان.



وهو ليس وليد العصر الحديث، وإنما كانت له جذوره عند المتقدمين، كما في تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير آيات الأحكام، ومما يذكر عن السلف في تتبع الآيات في الموضوع الواحد ما رواه ابن بطة العُكْبُرِي (ت ٣٨٧هـ) عن أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) أنه قال: نظرت في المصحف؛ فوجدت فيه طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وثلاثين موضعاً...<sup>(١)</sup>.

وبعض المفسرين قد يقف عند بعض الموضوعات، ويتناول ما ورد منها في القرآن بصورة موضوعية، ومن ذلك ما ذكره ابن جُزَي (ت ٧٤١هـ) في تفسيره عند قول الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢]، قال: «نتكلم عن التقوى في ثلاثة فصول:

الأول: في فضائلها المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة: الهدى؛ لقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ . والنصرة؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [سورة النحل: ١٢٨]...

الفصل الثاني: البواعث على التقوى، وهي عشرة...

الفصل الثالث: درجات التقوى خمس...»<sup>(٢)</sup>.

وفي العصر الحاضر صار لهذا المجال من علوم القرآن عناية واهتمام، حتى صار

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (١/ ٨٩).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (سورة البقرة: آية ٢).

نوعًا من أنواع التفسير يسمى: التفسير الموضوعي، وأُلِّفت في منهجيته وضوابطه وإجراءاته وما يتعلق به دراسات كثيرة<sup>(١)</sup>، كما أُلِّفت في تطبيقه عدة دراسات وموسوعات<sup>(٢)</sup>.

ومما يبيِّن أهمية هذا النوع من الدراسة ما يأتي<sup>(٣)</sup>:

(١) أنه باب من أبواب العلم بالقرآن وتدبره والعمل به؛ لاستنباط ما في الآيات من المقاصد والأحكام والدلالات، والعمل بما فيها من الهدايات، وهذا غاية القرآن أن يهتدي به الناس ويعملوا به، فإذا أمر بإقامة الصلاة -مثلاً- فلا تُعلم كيفية إقامتها إلا بجمع كل ما يتعلق بالصلاة من نصوص الوحي، وتبين ما فيها من وصفٍ لكيفيات الإقامة.

(١) منها: "التفسير الموضوعي للقرآن" للدكتورين أحمد السيد الكومي ومحمد أحمد القاسم، و"البداية في التفسير الموضوعي" للدكتور عبد الحي الفرماوي، و"المدخل إلى التفسير الموضوعي" لعبد الستار فتح الله سعيد، و"دراسات في التفسير الموضوعي" للدكتور زاهر الألمعي، و"مباحث في التفسير الموضوعي" للدكتور مصطفى مسلم، و"التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق" للدكتور صلاح الخالدي، و"التفسير الموضوعي: التأصيل والتمثيل" للدكتور زيد العيص، و"منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية" للدكتور سامر رشواني.

(٢) منها: موسوعة "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم" إصدار جامعة الشارقة، وموسوعة "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم" إصدار مركز تفسير للدراسات القرآنية.

(٣) ينظر في بعض ما ذكر في الأهمية: المدخل إلى التفسير الموضوعي، لسعيد (ص ٤٠-٤٢)، ودراسات في التفسير الموضوعي، للألمعي (ص ١٩-٢٠)، ومباحث في التفسير الموضوعي، لمسلم (ص ٣٠-٣٣).

وقد قال الخطابي (٣٨٨هـ) في سياق جوابه عن تفرق الموضوعات في سور القرآن: «وقد أحب الله ﷻ أن يمتحن عباده ويبلو طاعتهم واجتهادهم في جمع المتفرق منه، وفي تنزيله وترتيبه، وليرفع الله الذين آمنوا منهم والذين أوتوا العلم درجات» (١).



(٢) أن من أهم طرق التفسير: تفسير القرآن بالقرآن، فإذا جُمعت آيات الموضوع الواحد بين بعضها بعضاً؛ فما أجملته آية تفصله آية أخرى، وما أبهته آية توضحه آية أخرى، وما أطلق في موضع قد يكون مقيداً في موضع آخر، وما جاء على وجه العموم في سورة قد يكون مخصصاً في سورة أخرى، وقد تأتي الدعوى في سورة وجوابها في سورة أخرى، حتى قيل في ذلك: القرآن كله بمنزلة السورة الواحدة (٢).

(٣) التصور الكامل عن المفهوم القرآني للموضوع ومصطلحاته؛ بجمع آيات الموضوع في جميع السور، وتبين ما تحويه من مفاهيم جزئية، والربط بينها؛ لتكوين مفهوم كلي لها، فلا يحصل حينئذ أي قصور في إدراك المفاهيم، أو سوء فهم لها، أو خلل في تطبيقها والتعامل معها.

والاقتصار على بعض الآيات في تصور المفاهيم دون بعض من أخذ بعض الكتاب وترك بعضه، وقد قال الله جل جلاله منكرًا على بني إسرائيل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ

(١) بيان إعجاز القرآن، للخطابي (ص ٦٥).

(٢) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس (٥/٧٨، ٢٦٥)، ومعاني القراءات، للأزهري (٣/١٠٥)،

والبرهان في علوم القرآن (٣/٨٠)، والإتقان في علوم القرآن (٤/١١٦١)، وينظر:

الموافقات، للشاطبي (٤/٢٧٥).



بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴿٨٥﴾ [سورة البقرة: ٨٥].

وهذا مما يفيد في إزالة الخطأ في التصورات، أو توهم التعارض بين الآيات. كما يفيد الدعاة والخطباء والمحاضرين وأمثالهم حينما يريدون الحديث إلى الناس، فيجدون مادة متكاملة عن الموضوع.

٤) من خلال رصد كل الموضوعات القرآنية وتصنيفها تصنيفاً موضوعياً تتبين منظومة المفاهيم الإسلامية بصورتها المترابطة والمتكاملة؛ لأن المفاهيم الإسلامية لا يستقل بعضها عن بعض استقلالاً تاماً، بل بينها شبكة من العلاقات التي تربط بينها، على وجه العموم أو الخصوص أو التناظر أو التقابل أو غير ذلك من العلاقات، فالصلاة -مثلاً- لها تعلق بمصطلحات ومفاهيم أخرى كالعبودية والإسلام والإيمان، ولها تعلق بالقرآن والذكر والدعاء، ولها تعلق بالسكينة والخشوع والطمأنينة، ولها تعلق بالكفر والنفاق، وغيرها من المفاهيم.

٥) تتبع آيات الموضوع مع معرفة ترتيبها زمنياً يؤصل لمنهج الإسلام وحكمته في الدعوة إلى الله وفي التدرج في التشريع.

وهذا مما يفيد العلماء والدعاة في طريقة تعليمهم ودعوتهم، واتخاذ التدرج والمرحلية منهجية في التعليم والدعوة، بحسب البيئة التي يكونون فيها، ومدى مشابهتها لتلك البيئة التي نزل فيها القرآن.

كما يفيد الفقهاء في بيان الأحكام الشرعية، بناء على الناسخ والمنسوخ زمنياً، أو تنزيل كل حكم على الحال التي ورد فيها.

٦) الإسهام في بيان إعجاز القرآن، فإن الإعجاز كما هو متعلق بنظمه متعلق - أيضاً - بمعانيه وموضوعاته، من عدة وجوه:

الأول: أن هذا القرآن الوجيه جامع للموضوعات والمفاهيم التي تشمل كل

شؤون الحياة وكل أحوال النفس وعلاقاتها المختلفة التي يحتاج إليها الإنسان في شتى المجالات: في العقيدة، والسلوك، والعلاقات الأسرية، والأحكام القضائية، والمال والاقتصاد، والسياسة والعلاقات مع الأمم الأخرى، وغير ذلك من المجالات.



قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): «وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه - مع قلة الحجم - متضمن للمعنى الجم، وبحيث تقصر الأبواب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه، كما نبه عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ٢٧].» (١).

الثاني؛ أن هذا القرآن نزل مُنجمًا خلال ثلاثة وعشرين عامًا، والموضوع منه ينزل متفرقًا، ومع ذلك لا اختلاف في مضامينه، كما أنه لا اختلاف في أسلوبه، وقد قال الله جل جلاله: ﴿كَتَبْنَا أَحْكَمَتَ آيَاتِهِ وَثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود: ١]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢]، فمهما تكرر الموضوع فإنه يُصدق بعضه بعضًا ويُفسر بعضه بعضًا، ويكمل بعضه بعضًا، من غير اختلاف، وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [سورة الزمر: ٢٣]، قال الطبري (ت ٣١٠هـ): «يقول: يشبه بعضه بعضًا؛ لا اختلاف فيه، ولا تضاد» (٢).



(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (ص ٥٣).

(٢) جامع البيان، للطبري (سورة الزمر: آية ٢٣).

## المبحث الأول: سمات الموضوعات القرآنية

القرآن الكريم له خصوصية من سائر الكلام؛ إذ هو ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٣]، وإذا كان سبحانه وتعالى متفرداً في ذاته وصفاته فإنه متفرد في كلامه، وقد قال الله جل جلاله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿ قُل لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومما اختص به القرآن العظيم من سائر النصوص والكتب طريقته في نظم آياته وسوره وعرض موضوعاته.

ولذا فإن دراسة الموضوع القرآني إنما تنبع من هذه الخصوصية القرآنية في طريقة نظمه وعرضه وترتيبه مع غيره.

وسأشير هنا إلى أهم السمات والخصائص المتعلقة بطريقة القرآن في عرض موضوعاته، وبعضها له أثر في منهجية الدراسة البلاغية للموضوع القرآني، ومن السمات:

### (١) تعدد الموضوعات في السورة:

مما اتسم به القرآن في نظم سوره أنه لم يصنفها تصنيفاً موضوعياً؛ فيجعل لكل سورة موضوعاً مستقلاً بها، ثم يرتب السور بحسب موضوعاتها المتجانسة، كما يفعل المؤلفون للكتب.

وإنما السورة في القرآن -سوى قصار المفصل- تحوي عدة موضوعات مختلفة، وإن كانت تشترك في مقصد واحد وتحقيق غرض واحد.

ولو نظرنا في سورة قصيرة كسورة الحجرات رأينا أنها تبدئ بمقام النبي ﷺ والآداب الواجبة معه، ثم تنتقل للحديث عن الثبوت في الأخبار، ثم الصلح بين

المؤمنين، ثم مجموعة من الآداب التي تراعى بين المؤمنين، ثم بيان حقيقة الإيمان، ثم تختم السورة ببيان بعض صفات الله جل جلاله.

هذه مجموعة موضوعات في سورة قصيرة، فما بالكم بالسور الطوال والمئين؟

وتتفاوت الموضوعات في السورة من حيث مركزية الموضوع فيها أو عدم مركزيته، بناء على الاجتهاد في تدبر السورة للتوصل إلى الموضوعات الرئيسة فيها، ف"الرحمة" مثلاً موضوع مركزي في سورة مريم؛ يرد فيها من أولها إلى آخرها، بخلاف "صدق الوعد" فإنه في السورة نفسها جاء في آية واحدة وصفاً ممدوحاً به إسماعيل عليه السلام.

وقد يأتي الموضوع معترضاً في موضوع آخر، كالمحافظة على الصلوات بين آيات الطلاق في سورة البقرة (آية ٢٣٨).

والدارس لنظم السورة يهيمه الوقوف عند تعدد الموضوعات واختلافها، والعلاقات بينها، وأسرار ترتيبها.

## ٢) تفرق الموضوع وتصريفه في السور:

وهذه سمة مرتبطة بالسمة السابقة؛ فإن القرآن لا يجمع في سورة واحدة كل ما يريد أن يقوله في الموضوع، بل نجده يصرف القول في الموضوع في أكثر من سورة، وعلى سبيل المثال فإن موضوع "الإنفاق" ورد في البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة والرعد وإبراهيم والنحل والحج والفرقان وغيرها من السور.

وأحياناً يأتي الموضوع متفرقاً في السورة الطويلة، كموضوع "الإنفاق" في سورة البقرة؛ ورد في آيات متصلة (٢٦١-٢٧٤) ومتفرقة (١١٠، ١٩٥، ٢١٥، ...).

وهذا التردد للموضوع مما فُسر به قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ

كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا﴾ [سورة الزمر: ٢٣]، يروى عن ابن عباس

(ت ٦٨هـ) أنه قال: «كتاب الله مثاني؛ تُتَنَّى فيه الأمر مرارًا»، وعن الحسن البصري (ت ١١٠هـ): «تُنَى الله فيه القصص عن الجنة في هذه السورة، وتُنَى ذكرها في سورة أخرى، وذكر النار في هذه السورة، ثم ذكرها في غيرها من السور»، وعن ابن زيد قال: «مُرَدَّد؛ رُدَّد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء في أمكنة كثيرة» (١).

وكانت هذه السمة والتي قبلها مثار طعن في القرآن من الملحدين، كما ذكر الخطابي (٣٨٨هـ) عنهم أنهم قالوا عن القرآن: «وقد يُدخل بين الكلامين ما ليس من جنسهما ولا قبيلهما، كقوله سبحانه: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾» [سورة القيامة: ١٦-١٩]، عقيب قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة القيامة: ١٤-١٥]. بين يدي قوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة القيامة: ٢٠-٢١]، ولا ذلك بالمستحسن ولا بالمختار عند أهل البلاغة وأرباب البيان. والأحسن أن يكون الكلام مُفَصَّلًا مَقْسُومًا عَلَىٰ أَبْوَابِهِ، وَأَنْ يَكُونَ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْهُ حَيْزٌ وَقَبِيلٌ، لَا يَدْخُلُ فِي قَبِيلٍ غَيْرِهِ.

قالوا: ولو كانت سور القرآن على هذا الترتيب: فتكون أخبار الأمم وأقاصيصهم في سورة، والمواعظ والأمثال في سورة، والأحكام في أخرى؛ لكان ذلك أحسن في الترتيب، وأعون على الحفظ، وأدّل على المراد...» (٢).

وأجاب الخطابي عن هذه الشبهة بقوله: «وأما قولهم: لو كان نزول القرآن على

(١) تنظر هذه الآثار وغيرها عند تفسير سورة الزمر (آية ٢٣) في: جامع البيان للطبري، وموسوعة التفسير المأثور.

(٢) بيان إعجاز القرآن، للخطابي (ص ٤٨-٤٩).

سبيل التفصيل والتقسيم، فيكون لكل نوع من أنواع علومه حيّز وقبيل؛ لكان أحسن نظامًا وأكثر عائدة ونفعًا.

فالجواب أنه إنما نزل القرآن على هذه الصفة من جمع أشياء مختلفة المعاني في السورة الواحدة وفي الآي المجموعة القليلة العدد؛ لتكون أكثر لفائده وأعم لنفعه.



ولو كان لكل باب منه قبيل ولكل معنى سورة مفردة لم تكثر عائده، ولكان الواحد من الكفار والمعاندين المنكرين له إذا سمع السورة منه لا يقوم عليه الحجة به إلا في النوع الواحد الذي تضمّنه السورة الواحدة فقط؛ فكان اجتماع المعاني الكثيرة في السورة الواحدة أوفر حظًا وأجدى نفعًا من التمييز والتفريد؛ للمعنى الذي ذكرناه، والله أعلم» (١).

ومما يذكر في الرد على هذه الشبهة أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة، وإنما كان ينزل منجمًا بحسب مراحل الدعوة وأحداثها فكانت السورة تنزل في سياق يقتضي تناول جانب من الموضوع بصورة تتناسب مع نظم السورة، ثم تنزل السورة الأخرى في سياق آخر يقتضي ذكر الموضوع نفسه أو جانب آخر منه بصورة أخرى تتناسب مع نظم هذه السورة، وهكذا.

ولو وُضع كل ما نزل في موضوع ما في سورة واحدة لجاء نظمها مختلفًا يفتقد التناسق والانسجام، فكان هذا معيياً في القرآن العظيم.

وهذا أمر مهم يؤخذ في الحسبان حين دراسة الموضوع القرآني؛ إذ لكل سورة شخصيتها ومقاصدها الخاصة بها، التي تؤثر على نظم الموضوعات فيها.

(١) بيان إعجاز القرآن، للخطابي (ص ٦٥).

ومن الحِكم في تفرق الموضوع الواحد وتكراره التذكير به مرة بعد أخرى بصور مختلفة وأساليب متنوعة، وهذا من تصريف القول في القرآن؛ لعله يقع في إحدى المرات ما لم يقع من قبل ذكراً واستجابة وتقوى، قال الله جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤١﴾ [سورة الإسراء: ٤١]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۝١١٣﴾ [سورة طه: ١١٣].

ومما يتعلق بهذه السمة التدرج في التشريع، فإن القرآن من لدن رب حكيم، يتدرج بالعباد في فرض الأحكام شيئاً فشيئاً؛ مراعاة لأحوالهم وتهيئة لقبولهم لها، فكان الموضوع الواحد تنزل فيه الآيات المتعددة والمتفرقة، وفي كل نزول تحمل معنى وحكماً مختلفاً عن الذي قبله، ومن ذلك مثلاً آيات النهي عن الخمر، التي نزلت في ثلاث سور (البقرة، والنساء، والمائدة).

### ٣) تنوع الموضوعات وشمولها لكل مناحي الحياة؛

الإسلام جاء بعبودية الله جل جلاله، وينظم شؤون الحياة وفق هذه العبودية، فلم تقتصر أحكامه وتشريعاته على جانب معين من النفس أو الحياة، بل شملت كل جوانبها؛ الاعتقادية والسلوكية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية... قال الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢].

والقرآن نزل بهذه الشمولية التي للإسلام، فجاءت موضوعاته متنوعة؛ تعالج كل شؤون الحياة وكل أحوال النفس وعلاقاتها المختلفة.

وقد قال الله جل جلاله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ۝٨١﴾

[سورة النحل: ٨٩]. فكل ما يحتاج إليه الناس في معرفة الحلال والحرام في عبوديتهم وحياتهم فقد بينه الله جل جلاله بالأوامر والنواهي والقواعد، في كتابه وسنة نبيه. وتتفاوت تلك المجالات في كثرة الموضوعات أو قلتها، كما تتفاوت الموضوعات من حيث كثرة الآيات والقضايا التفصيلية أو قلتها.



فموضوعات العقيدة مثل التقوى والإيمان بالله وتوحيده والإيمان باليوم الآخر والشرك، تكاد لا تخطئك في كل سورة، بخلاف موضوعات أخرى مثل صلة الرحم والأمانة وصدق الوعد، فإن آياتها محدودة، وبين هاتين موضوعات كثيرة تتفاوت في حجم آياتها، كالصلاة والزكاة والإنفاق في سبيل الله والجهاد...

كما تختلف الموضوعات من حيث السياق الزمني، والدارسون للقرآن الكريم يفرقون بين مرحلتين في نزول القرآن: المرحلة المكية، والمرحلة المدنية. والمرحلة المكية تبدأ من البعثة النبوية في مكة حتى الهجرة إلى المدينة. والمرحلة المدنية تبدأ من بعد الهجرة إلى المدينة حتى وفاة النبي ﷺ. فكل ما نزل بعد الهجرة فهو مدني في أي مكان نزل، ولو في مكة. وما قبل ذلك فهو مكّي في أي مكان نزل، ولو في غير مكة، أو في طريق الهجرة<sup>(١)</sup>.

(١) هذا القول المشهور في مفهوم المكّي والمدني، وثمة أقوال أخرى، منها ما يحيل إلى المكان من غير اعتبار لزمن النزول؛ فيرى أن المكّي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة. ومنها ما يحيل إلى المخاطبين من غير نظر إلى زمن النزول أو مكانه؛ فيرى أن المكّي ما كان خطاباً لأهل مكة، والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة. وينظر في مفهوم المكّي والمدني: البرهان في علوم القرآن (١/١٨٧)، والإتقان في علوم القرآن (١/٤٥)، والمكّي والمدني في القرآن الكريم، للدكتور محمد الشايع (ص٧-١٧)، والمكّي والمدني في القرآن الكريم، لعبدالرزاق أحمد (ص٤٢-٥٦).



وثمة خصائص أسلوبية وموضوعية لكل منهما، ذكرها العلماء بناء على التدبر والاستقراء، وهي خصائص غالبية، وسأشير هنا إلى أبرز الخصائص الموضوعية<sup>(١)</sup>:

(أ) الخصائص الموضوعية للخطاب المكي:

☞ ترسيخ العبودية لله وحده، واجتناب الشرك.

☞ تقرير النبوة لمحمد ﷺ.

☞ إثبات اليوم الآخر وما فيه من بعث ونشور وثواب وعقاب.

☞ ذكر قصة آدم عليه السلام مع إبليس، وقصص الأنبياء عليهم السلام والأمم الخالية وعاقبتها، إلا سورة البقرة فمدنية.

☞ الافتتاح بحمد الله، في خمس سور: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر.

قال الشاطبي (ت ٧٩٠هـ): «غالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان، أصلها معنى واحد؛ وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى: أحدها: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق، غير أنه يأتي على وجوه... والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد، وأنه رسول الله إليهم جميعاً، صادق فيما جاء به من عند الله، إلا أنه وارد على وجوه أيضاً... والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة، وأنه حق لا ريب فيه بالأدلة الواضحة... فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر، وما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها؛ فراجع إليها في محصول الأمر، ويتبع ذلك الترغيب

(١) ينظر في هذه الخصائص: البرهان في علوم القرآن (١/١٨٧-١٩١)، والإتقان في علوم القرآن (١/١٠٦-١٠٩)، والمكي والمدني في القرآن الكريم، للدكتور محمد الشايع (ص ٢٨-٥٣)، والمكي والمدني في القرآن الكريم، لعبد الرزاق أحمد (ص ١٦١-١٧٤).

والترهيب، والأمثال والقصص، وذكر الجنة والنار، ووصف يوم القيامة، وأشبه ذلك<sup>(١)</sup>.

(ب) الخصائص الموضوعية للخطاب المدني:

بيان التشريعات والأحكام العملية في العبادات والمعاملات والعلاقات والعقوبات.

الإذن بالجهاد والحث عليه وبيان أحكامه وما يتعلق به من المعاهدات والصلح والفيء والأسارى.

ذكر المنافقين وكشف أحوالهم ومكايدهم والتحذير منهم.

دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ومجادلتهم وإقامة الحجج عليهم وبيان ضلالهم.

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): «إن السور المكية تضمنت الأصول التي انفقت

عليها رسل الله؛ إذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة.

وأما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقر بأصل الرسالة، كأهل الكتاب الذين

آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله ورسله؛ ولهذا قرر

فيها الشرائع التي أكمل الله بها الدين: كالقبلة والحج والصيام والاعتكاف والجهاد

وأحكام المناكح ونحوها، وأحكام الأموال: بالعدل كالبيع، والإحسان كالصدقة،

والظلم كالربا، وغير ذلك مما هو من تمام الدين.

ولهذا كان الخطاب في السور المكية: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ لعموم الدعوة إلى

الأصول؛ إذ لا يُدعى إلى الفرع من لا يقر بالأصل. فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة،

(١) الموافقات، للشاطبي (٤/ ٢٦٩-٢٧٠).

وعزَّ بها أهل الإيمان، وكان بها أهل الكتاب؛ حُوطب هؤلاء وهؤلاء؛ فهؤلاء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهؤلاء: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ أو ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ﴾. ولم ينزل بمكة شيء من هذا، ولكن في السور المدنية خطاب ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ كما في سورة النساء وسورة الحج، وهما مدنيتان، وكذا في البقرة» (١).

#### ٤) تعالق الموضوعات:

يقصد بالتعالق هنا: الترابط بين الموضوعات القرآنية؛ إذ هي شبكة من المفاهيم المترابطة والمتسقة.

وكل موضوع في القرآن يأتي ضمن شبكة موضوعات تُكوِّن حقلاً مفهوماً مترابطاً، له مصطلح مركزي، وكل حقل يأتي ضمن شبكة حقول مفهومية مترابطة. فالإيمان -مثلاً- حقل مفهومي مركزي في القرآن، ينتمي إليه موضوعات، كأركان الإيمان: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسول، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر. وكل واحد من هذه الموضوعات هو حقل مفهومي؛ تنتمي إليه موضوعات متفرعة عنه، فالإيمان باليوم الآخر يشمل: أدلة الإيمان باليوم الآخر، أسماء اليوم الآخر وصفاته، علامات الساعة، أهوال اليوم الآخر، البعث والنشور، الجنة، النار،...

والصلاة في القرآن من الإيمان، وهو حقل مفهومي، ينتمي إليه موضوعات، مثل: الطهارة للصلاة، مواقيت الصلاة، أركان الصلاة، الخشوع في الصلاة، صلاة الجمعة، صلاة الخوف، قيام الليل،...

وهكذا بقية الموضوعات، منها ما هو جزء لا يتفرع، وينتمي إلى حقل مفهومي،

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/١٦٠).

ومنها ما هو حقل مفهومي ينتمي أيضًا إلى حقل أوسع منه.

وهكذا نجد الموضوعات متشابكة مترابطة، كالعائلة التي تتكون من الأب والأم، ولهما أولاد، وأولاد أولاد... والأب الأكبر هو مركز في العائلة كلها، لكن الأولاد الذين يتفرع عنهم أولاد مركزيون أيضًا بالنسبة لأولادهم، ويحكم هذه العائلة مجموعة علاقات (أبوة، أمومة، بُنوة، أخوة، عمومة، خُولة...)، وقد يكون هناك علاقات أخرى تحف بها كعلاقات المودة والولاء أو علاقات البغض والعداء.

والفرد داخل العائلة لا تتضح حقيقته بصورة كاملة إلا بعد معرفة علاقاته داخل هذه الشبكة العائلية، فهو ليس ابنًا لفلان فحسب، ولكنه أيضًا زوج وأب وأخ وعم وخال...

وهكذا الموضوعات ينظر إليها من خلال تعالقها ببعض - سواء على مستوى الحقل الواحد أم أكثر من حقل - على أنها تتعاقد للكشف عنها بصورة أدق. والحقول المفهومية مفتوحة الحدود أو متداخلة الحدود، حتى على مستوى الحقول المتضادة، كالإيمان والكفر، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والكفر منه ما هو أصغر يبقى معه الإيمان، وكفر أكبر ينتفي معه الإيمان. ولا غرابة إذن أن يأتي في السورة الواحدة أكثر من موضوع؛ لأن موضوعات القرآن تتعالق وتتعاقد للوصول إلى المقصد الكلي للسورة، وكل موضوع في السورة يتعلق بالموضوع الذي بعده بنوع من العلاقات.

#### ٥) تنوع أساليب البيان عن الموضوع:

وصف الله جل جلاله كتابه بالبيان والإبانة، فقال: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ

الْكِتَابِ وَقُرَّانٍ مُّبِينٍ ﴿٥﴾ [سورة الحجر: ١]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ

﴿١٦٥﴾ [سورة الشعراء: ١٩٥]، لأنه كتاب هدى فلا بد أن يكون بيتاً في نفسه ميبناً لغيره،

قال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

[سورة المائدة: ١٥-١٦]. ولم يلتزم القرآن أسلوباً واحداً في بيان الموضوع الواحد، بل

كان ينوع بحسب السياقات التي ينزل فيها الموضوع، والسور التي تنظمه.

ففي موضوع الإنفاق مثلاً نجد تنوعاً كبيراً في الأساليب:

جاء بأسلوبي الأمر والنهي على وجوه من النظم مختلفة، في مثل قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥٤]،

وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴿٣٦﴾﴾ [سورة

البقرة: ٢٦٤].

وبأسلوب الاستفهام في مثل قوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا

أَنفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ وَمَا تَفَعَّلُوا

مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١٥].

وبأسلوب الخبر على وجوه مختلفة، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَتًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ

رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٦٢].

وبالقصر في قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ

كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى

وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٥٤].

وبأسلوب الشرط على وجوه مختلفة، كقوله سبحانه: ﴿إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة التغابن: ١٧].

وبأسلوب التشبيه بصور متنوعة، كقوله سبحانه: ﴿مَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

وبأسلوب الكناية في مثل قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٩].  
والدارس للموضوع القرآني يراعي وجوه الاختلاف في أساليب البيان عن الموضوع بين موضع وموضع وسورة وسورة.



## المبحث الثاني: الأسس المنهجية

لا بد في أي منهج لدراسة النصوص من أسس معرفية ينطلق منها ويرتكز عليها في الدراسة والتحليل وتخير الأدوات والإجراءات المناسبة لها. والقرآن الكريم أولى بذلك؛ لما له من الخصوصية في ذاته، وفي المتكلم به جل جلاله، وفي منهجية تلقيه؛ فدراسته بلاغياً لا بد أن تكون وفق أسس منهجية تتناسب مع هذه الخصوصية.

ومن أهم الأسس التي تتعلق بالدراسة البلاغية للموضوع القرآني ما يأتي:

### (١) القرآن كلام الله جل جلاله:

وهذه حقيقة لا يخالف فيها أي مسلم؛ أن القرآن مصدره وقائله الرب جل جلاله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الواقعة: ٧٧-٨٠]، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة النمل: ٦].

وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴿٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٦]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴿٣﴾﴾ [سورة السجدة: ٣]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء: ٨٢]. والآيات في تقرير هذه الحقيقة كثيرة جداً، وخصوصاً في السور المكية؛ إذ من أعظم مقاصد الوحي في العهد المكي تقرير نبوة النبي ﷺ وصدق رسالته؛ بإثبات أن القرآن وحي من الله جل جلاله.

وربانية القرآن وصف ملازم له منذ أن تكلم به الرب سبحانه وتعالى في السماء،

ولا ينفصل أبداً هذا الوصف عن القرآن، حتى بعد نزوله إلى الأرض، وتلقيه من الرسول ﷺ والمؤمنين، وكتابته في المصاحف.

فالدراسة البلاغية تتناول النظم القرآني على أنه نظم رباني مقدس ﴿لَا يَأْتِيهِ

الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٤﴾ [سورة فصلت: ٤٢].

وليس لها إلا أن تقف منه موقف المؤمن به والمسلم له والمعجب بنظمه والواصف لحسنه والكاشف عن إعجازه، لا موقف المختبر والناقد، كما قال بعضهم: «ليس القرآن إلا كتاباً ككل الكتب الخاضعة للنقد...» (١)، وقال آخر: «منذ نزل القرآن في كلمات عربية أصبح بشرياً: يجوز الطعن فيه وعليه، وتجاوز مناقشته، ويجوز ما يجوز على الكلام البشري من خطأ وصواب» (٢)، نعوذ بالله من هذه الأقوال.

## ٢) وظيفة البلاغي المتلقي: تبيين مقاصد الرب جل جلاله:

القرآن خطاب هداية للخلق كافة؛ في أي زمان ومكان، قال الله جل جلاله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء: ٩]، وقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ

(١) القائل طه حسين، وينظر: خصائص الأدب العربي، للجندي (ص ٢١٧)، وعودة الحجاب،

للمقدم (١/ ١٨٠).

(٢) القائل نصر أبو زيد، وينظر: دعوئ الطاعنين في القرآن الكريم، للمطيري (ص ٢٣٩).



مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [سورة المائدة: ١٥-١٦].

والهداية مبنية على ما يريد الله ويرضاه. وما يريد مقصود له، وبينه بكلامه أتم  
بيان، وكثيراً ما تقترن هداية القرآن بإبانته، كما في الآية السابقة، وقوله سبحانه: ﴿  
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]،  
وقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضَلُّوا ﴿١٧٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٧٦].

وقوله: ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ  
﴿٢﴾﴾ [سورة النمل: ١-٢]، وقوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن  
يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النور: ٤٦]، فالخطاب القرآني ذو معان  
مقصودة من المتكلم به ﷺ، ووظيفة البلاغي في تلقيه أن يشارك - عن صحة فهم  
وحسن نية- في الكشف عن هذه المقاصد، كما أرادها الرب ﷻ، لا كما يهوى  
المتلقي «فالمتاؤل إن لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما  
يحتمله من حيث الجملة في كلام من تكلم بمثله من العرب هو من باب التحريف  
والإلحاد لا من باب التفسير وبيان المراد» (١).

ومقاصد القرآن ثابتة لا تتغير في أي زمان أو مكان، ولكن الناس يتفاوتون في  
إدراكها وفهمها على حسب مداركهم وأدواتهم، وقد قال النبي ﷺ: «فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ  
الْغَائِبَ؛ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» (٢)، وقال: «رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِهِ، وَرُبَّ

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١/٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح ٦٧، ١٧٤١)، ومسلم (ح ١٦٧٩).

حَامِلٍ فَفَهِّهِ إِلَيَّ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ»<sup>(١)</sup>، والفقه أخصّ من مجرد الفهم؛ فهو فهم مراد المتكلم ومقاصده<sup>(٢)</sup>.

### (٣) الوحدة الكلية للقرآن:

يتكون القرآن الكريم من (١١٤) سورة، وكل سورة تُعدّ وحدة مستقلة لها ابتداء وختام ومقصد قد يختلف عن مقاصد السور الأخرى، إلا أن ذلك لا يعني الانقطاع بين السور، بل إن كل سورة لها مع السور الأخرى المجاورة أو غير المجاورة علاقات تربطها بها، بل إن الآية في السورة لا تخلو من علاقات مع آيات في سور أخرى؛ مما يجعل القرآن وحدة كلية مترابطة.

وهذه فرضية قديمة، تؤكدتها الدراسات التفسيرية والتناسبية، منذ القدم إلى يومنا هذا، حتى شُبّه القرآن -لاتصال بعضه ببعض- بالسورة الواحدة، كما نُقل عن الإمام القارئ حمزة الزيّات (ت ١٥٦هـ)<sup>(٣)</sup>، والكسائي (ت ١٨٩هـ)<sup>(٤)</sup>، والزجاج (ت ٣١١هـ)<sup>(٥)</sup>، وغيرهم<sup>(٦)</sup>.

بل شبهه بعضهم بالآية الواحدة، كما قال الرازي (ت ٦٠٦هـ): «القرآن كله

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح ١٦٧٣٨، ٢١٥٩٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٧٦٠).

(٢) ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم (٢/٣٨٦)، والصواعق المرسلّة، له (٢/٥٠١-٥٠٢)، ومعهود العرب في الخطاب (مجلة الترتيل) (٢٤/٦٥).

(٣) ينظر: جامع البيان، لأبي عمرو الداني (١/٤٠٢).

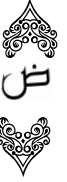
(٤) ينظر: معاني القراءات، للأزهري (٣/١٠٥).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (سورة النساء: آية ١٧٦، وسورة القيامة: آية ١).

(٦) ينظر مثلاً: تفسير الفخر الرازي (سورة القيامة: آية ١)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي

(سورة ق: آية ٣).

كالسورة الواحدة، وكالآية الواحدة؛ يصدّق بعضها بعضاً، ويبيّن بعضها معنى بعض (١). « بل شبهه بعضهم بالكلمة الواحدة، كما قال القاضي أبو بكر ابن العربي (ت ٥٤٣هـ): «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض - حتى تكون كالكلمة الواحدة؛ متسقة المعاني منتظمة المباني - علمٌ عظيم» (٢)، وقال الزركشي (ت ٧٩٤هـ): «عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة» (٣).



وقد أشار القرآن إلى هذا التعالق بين سوره؛ فقال سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [سورة الزمر: ٢٣]، روي عن ابن عباس ؓ أنه قال: «القرآن يُشبه بعضه بعضاً، ويُرَد بعضه إلى بعض» وعن سعيد بن جبّير قال: «يُشبه بعضه بعضاً، ويُصدّق بعضه بعضاً، ويُدل بعضه على بعض» (٤).

وأحال في بعض السور إلى ما ذكره في سور أخرى، كقوله سبحانه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة النحل: ١١٨]، وما قصّه الله من قبل مما حرّمه على اليهود هو في سورة الأنعام، في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ

(١) تفسير الفخر الرازي (سورة قريش: آية ١).

(٢) عن البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٣٦).

(٣) السابق (١/٣٩).

(٤) ينظر الأثران عند تفسير سورة الزمر (آية ٢٣) في: جامع البيان للطبري، وموسوعة التفسير

وَأِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ [سورة الأنعام: ١٤٦] (١).

ونبه المؤمنين إلى انحراف اليهود بأخذهم بعض كتابهم دون بعضه، فقال سبحانه منكرًا عليهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ﴾ [سورة البقرة: ٨٥].

ض

ولهذا كان "تفسير القرآن بالقرآن" من أهم طرق التفسير وأصحها، وكان من منهج النبي ﷺ في تبين القرآن، كما أخرج الشيخان عن عبدالله بن مسعود ؓ قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]. شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله، أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «لَيْسَ ذَاكَ. إِنَّمَا هُوَ الشُّرْكُ. أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣]». (٢).

وينبغي على هذا الأساس القول بالوحدة الموضوعية للقرآن؛ إذ الموضوع الواحد تتعالق مواضعه المتفرقة بين السور، بوجوه من العلاقات المختلفة.

#### (٤) وحدة السورة؛

إذا كان القرآن من شدة اتصال بعضه ببعض ذا وحدة كليّة، فشبّه بالسورة؛ فإن وجه الشبه في المشبه به أظهر وأقوى، كما يقول البلاغيون. فالسورة أيضًا وحدة كليّة، مهما كثرت آياتها وتعددت موضوعاتها، فإنها تتعالق فيما بينها بنظم محكم ومتناسق؛ لتحقيق مقاصد رئيسة.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (سورة الأنعام: آية ١٤٦).

(٢) البخاري (ح ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩)، ومسلم (ح ١٢٤).

ولفظ "السورة" يوحي بهذه الوحدة، وقد قيل في هذه التسمية: إنها مأخوذة من سُور المدينة؛ لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُور. وقيل: لتركيب بعضها على بعض، من التَّسُور بمعنى: التصاعد والتركيب. وقيل: من السُورة بمعنى المرتبة؛ لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيباً مناسباً. وقيل: حدّ السورة: قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة<sup>(١)</sup>، قال الدكتور محمد حجازي في دراسته "الوحدة الموضوعية في القرآن": «كل سورة تكون وحدة كاملة مترابطة الأجزاء، ولهذا سميت سورة»<sup>(٢)</sup>.

وكثيراً ما يطلق على هذه الوحدة اسم: الوحدة الموضوعية للسورة، ويطلق عليها أسماء أخرى، ذكرتها في التمهيد.

ويتجنب بعض الباحثين مصطلح "الوحدة الموضوعية"؛ دفعاً لتوهم أن هذا الوصف (الموضوعية) يقتضي أن للسورة موضوعاً واحداً فحسب، بينما سور القرآن تتعدد فيها الموضوعات غالباً، وكلها تلتقي حول مقصد واحد<sup>(٣)</sup>.  
وتقوم هذه الوحدة على عنصرين رئيسين<sup>(٤)</sup>:

الأول: مقصد السورة:

وهو الغرض الذي سبقت السورة من أجله<sup>(٥)</sup>.

وهل السورة لها مقصد واحد؟ أو تتعدد فيها المقاصد؟ تظهر هذه المسألة مع

(١) ينظر في هذه التعريفات: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٢٦٤)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٢/٣٤٦).

(٢) الوحدة الموضوعية في القرآن (ص ٤٥٠).

(٣) ينظر: مسالك الكشف عن مقاصد السور، للحمداوي (ص ٤).

(٤) ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (ص ٢٤١).

(٥) ينظر: مصاعد النظر، للبقاعي (١/١٤٩)، وعلم مقاصد السور، للربيع (ص ٧، ٨).

السور الطوال كالبقرة وآل عمران والنساء وغيرها، وأما السور القصار فيظهر فيها وحدة المقصد.

والبقاعي (ت ٨٨٥هـ) الذي كان له أثر كبير في تأسيس علم "مقاصد السور"، وألف فيه كتابه "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، يؤكد من خلال تجربته وحدة المقصد<sup>(١)</sup>. وقرر ذلك الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) من قبل<sup>(٢)</sup>، وكثير من الدراسات المعاصرة التي تناولت الوحدة الموضوعية للسورة ومناسباتها تقرر بعد تطبيق على سور القرآن وخاصة الطوال منها أن لكل سورة مقصدًا مهيمناً على آياتها وفصولها وقصصها وموضوعاتها وجميع أجزائها<sup>(٣)</sup>.

وكيف يتوصل إلى مقصد السورة؟

التوصل إلى مقاصد السور عملية اجتهادية؛ يحصل بالتدبر، بل كما قال الفراهي (ت ١٣٤٩هـ): «يحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص»<sup>(٤)</sup>.

وثمة آليات تسهم في الكشف عنها؛ ذكرها الباحثون في علم مقاصد السور، منها: معرفة أحوال النزول، والنظر في المعنى الذي جاء في استهلال السورة وخاتمتها،

(١) ينظر: مصاعد النظر، للبقاعي (١/١٤٩، ١٨٢).

(٢) ينظر: الموافقات (٤/٢٦٥-٢٦٨).

(٣) ينظر مثلاً: "النبأ العظيم" و"مدخل إلى القرآن" كلاهما لعبدالله دراز، و"نظام القرآن" للفراهي، و"الأساس في التفسير" لسعيد حوى، و"من بلاغة القرآن" لأحمد بدوي، و"نظرة العجلان في أغراض القرآن"، لابن شهيد ميسلون، و"بيان النظم في القرآن الكريم" لمحمد فاروق الزين، و"الوحدة الموضوعية في القرآن" لمحمد محمود حجازي، و"التفسير الموضوعي" لعبدالفتاح الخالدي، و"منهجية البحث في التفسير الموضوعي" لزياد خليل، و"علم مقاصد السور" لمحمد الربيعة.

(٤) دلائل النظام، للفراهي (ص ١٦).

والمعنى الجامع بين المتقابلات، والمعنى الذي تدور عليه فصول السورة وقصصها وأمثالها، وتكرّر بعض المعاني والآيات والألفاظ، والاستئناس بدلالات بعض أسماء السور، وغيرها<sup>(١)</sup>.

وينبغي على إدراك مقاصد السور البحث عن سر تخير الموضوعات والمعاني والألفاظ والأساليب المعبر بها عنها، وسر ترتيبها، ووجوه العلاقات فيما بينها؛ لأن اختلاف المقاصد مؤثر في اختلاف النظم<sup>(٢)</sup>.

#### الثاني: التناسب.

يقصد به في سياق الحديث عن السورة: الترابط بين تراكيبها وآياتها وقصصها وموضوعاتها وجميع أجزائها.

وثمة علم قرآني باسم "علم التناسب" (المناسبة، المناسبات) يبحث في ترتيب سور القرآن وآياتها وأجزائها ووجوه التناسب فيما بينها، قال الزركشي (ت ٧٩٤هـ): «المناسبة علم شريف... وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض؛ فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»<sup>(٣)</sup>، وقال البقاعي (ت ٨٨٥هـ): «ثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء؛ بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب»<sup>(٤)</sup>.

وعلى ضوء مقاصد السور تُدرس المناسبات فيها؛ لأن أسرار ترتيب آيات

(١) ينظر: علم مقاصد السور، للربيع (٤٧-٥٨)، وعلم مقاصد السور، للمطيري (٥٢-٥٩)،

ومسالك الكشف عن مقاصد السور، للحمداوي (١٤-٣٣).

(٢) ينظر: مصاعد النظر، للبقاعي (١/١٤٩، ١٨٢-١٨٣).

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٣٥-٣٦).

(٤) نظم الدرر، للبقاعي (١/٦).

السورة وموضوعاتها ووجوه الترابط بينها لا تظهر إلا بمعرفة المقصد الذي يجمع بينها، كما قرر ذلك دارسو المناسبات القرآنية<sup>(١)</sup>.

والتأسيس على وحدة السورة مهم في دراسة الموضوع القرآني، سواء أكانت السورة قائمة على هذا الموضوع، أم كانت مشتملة عليه مع موضوعات أخرى؛ فإن الموضوع يتعالق داخل السورة بموضوعات أخرى سابقة ولاحقة، وهذا التعالق بين الموضوعات يأتي في إطار المقصد من السورة. والدراسة الموضوعية تكشف عن هذه التعالقات.

#### (٥) السياق:

السياق هو: مجموع الأحوال والقرائن، التي تؤثر في نظم الكلام، وتبين مقاصد المتكلم.

وهو أساس مهم، تتعلق به البلاغة تعلقاً كبيراً؛ لأنها قائمة على مراعاة السياق، في تخير الألفاظ والمعاني وبناء التراكيب والنصوص، تحقيقاً للأصل البلاغي عند العرب: لكل مقام مقال، وقد عُرفت البلاغة - كما سبق في التمهيد - بأنها: مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال.

والسياق نوعان: مقالي، ومقامي.

أما السياق المقالي فينظر فيه إلى السمة اللغوية داخل النص، التي تقتضي تلاؤم معانيه وألفاظه وتراكيبه بعضها مع بعض. ويطلق عليه: السياق اللغوي، والسياق الداخلي، والسياق النصّي، والسياق اللفظي، وسياق النظم، ونسق الكلام، والسباق واللاحق.

وأما السياق المقامي فينظر فيه إلى الأحوال الخارجية للنص، كحال المتكلم

(١) ينظر: السابق (٦/١، ١٨)، ومساعد النظر، للبقاعي (١/١٤٢، ١٤٩)، ودلائل النظام،

للفراهي (ص ٧٧).



والمخاطب والزمان والمكان والغرض، وغيرها من الأحوال التي تؤثر في تخير المعاني والألفاظ وترتيبها ونظمها على أساليب تتناسب مع الأحوال. ويطلق عليه: سياق الحال، وسياق الموقف، والسياق الخارجي، والسياق الظرفي، والسياق غير اللغوي، وبساط الكلام<sup>(١)</sup>.

والسياق في القرآن يشمل هذين النوعين:  
أما سياق المقال فيشمل سياق القرآن، وسياق السورة، وسياق المقطع أو القصة، وسياق الآية وسياق التركيب.

وأما سياق المقام فيشمل مقام المتكلم بالقرآن ﷻ، وحال المخاطب، والغرض، وأحوال النزول وأسبابه ومكانه وزمانه.

وهذه السياقات مؤثرة في نظم الموضوع القرآني، وتبينها يسهم في دراسته من جهات عدة؛ سواء من جهة ذكره في بعض السور دون بعض، أو من جهة تنوع قضاياها بين السور، أو من جهة الاختلاف بين السور في أسلوب عرضه، أو علاقاته مع غيره من الموضوعات، أو غير ذلك من جهات الدراسة.



(١) ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، لخليل (ص ٣١، ٧٩)، ودلالة السياق، للطلحي (ص ٤١-٥٥)، والوحدة السياقية للسورة، للعجلان (ص ٢٧-٧٤)، والأسس المنهجية لدراسة البلاغة القرآنية، للعلوي (ص ٥٠).

### المبحث الثالث: إجراءات المنهج

في ضوء كل ما سبق من بيان لسمات الموضوع القرآني، وأهداف البلاغة منه، والأسس المنهجية؛ فإنني أقترح جملة من الإجراءات لدراسة الموضوع دراسة بلاغية.



وهذه الإجراءات لا يلزم أن تكون كلها متبعة في كل دراسة موضوعية، بل يؤخذ منها بحسب طبيعة الموضوع، سواء أكانت دراسته على مستوى القرآن كله، أم على مستوى سورة منه.

وغني عن القول أن التحليل البلاغي للقرآن أيًا كان مجاله مبني على إجراء سابق له؛ وهو فهم المعنى الإجمالي له، المنطلق من أصول التفسير وضوابطه، والمرجع في هذا علم التفسير ومدوناته.

وسأذكر أولاً الإجراءات مجتمعة، ثم أفصل القول فيها، مع التطبيق، وهي:

- (١) استقراء آيات الموضوع وتصنيفها.

- (٢) الكشف عن سياقات الموضوع المقامية والمقالية.

- (٣) تحليل العلاقات التناسبية للموضوع.

- (٤) دراسة المصطلحات الرئيسة للموضوع ودلالاتها السياقية.

- (٥) تحليل نظم الموضوع على اختلاف مواضعه تحليلًا إجماليًا.

- (٦) رصد الظواهر الأسلوبية في البيان عن الموضوع على اختلاف مواضعه.

- (٧) بيان وجوه الاختلاف بين المواضع في البيان عن الموضوع.

- (٨) رصد التحولات الموضوعية والأسلوبية بحسب النزول.

- (٩) دراسة تنامي الموضوع وتنوع قضاياها بين السور.

وعنوانات هذه الإجراءات لا يعني أن تكون عناوات الفصول أو المباحث لأي

دراسة موضوعية، ولكنها تكون حاضرة كلها أو جلها أثناء الدراسة، على أي تصنيف يكون به البحث.

تلك الإجراءات بإجمال، وهذا تفصيل لها مع التطبيق:

أولاً: استقراء آيات الموضوع وتصنيفها:

أما الاستقراء فإن الدارس يجمع آيات الموضوع القرآني وموضوعه المتفرقة في السور من خلال الطريقتين الآتيتين:

الأولى: استقراء الدارس للقرآن الكريم، مستصحباً الموضوع وما يتعلق به من مفاهيم.

الثانية: الإفادة من معاجم الموضوعات القرآنية، وهي كثيرة، منها ما هو عام لجميع الموضوعات، ومنها ما هو خاص ببعض المجالات<sup>(١)</sup>.

ومن الأفضل للدارس أن يتبع الطريقتين كليهما، ولا يكتفي بإحدهما، فما تقصر عنه طريقة تكمله الطريقة الأخرى.

وكذلك لا يكتفي الدارس بمعجم واحد، بل يحسن الإفادة من أكثر من معجم، إذ قد يغفل بعض المؤلفين عن بعض الآيات في الموضوع، فيكمله الآخرون.

وأما التصنيف: فهل تصنف الآيات بحسب النزول؟ أو بحسب ترتيب السور؟

(١) منها: "معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم" للدكتور عبدالصبور مرزوق، و"المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم" لمحمد بسام الزين وبإشراف: محمد عدنان سالم، و"المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم" لصبحي عبد الرؤف عصر، و"تصنيف آيات القرآن الكريم" لمحمد محمود إسماعيل، و"فهرس مواضيع القرآن الكريم" للدكتور مروان العطية، و"المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم" للدكتور محمد حسن الحمصي، و"موسوعة التفسير الموضوعي" لمركز تفسير للدراسات القرآنية.



أو بحسب القضايا الفرعية للموضوع؟ أو بحسب الخصائص البلاغية؟ أو بحسب السمات الموضوعية؟

لا يمكن أن يكون هناك تصنيف واحد لكل الدراسات؛ فبحسب طبيعة الدراسة وأهدافها يكون التصنيف، فإذا كانت الدراسة مثلاً تستهدف رصد التحولات الأسلوبية أو الموضوعية في ضوء السياق الزمني، فإن التصنيف سيكون بحسب النزول. وقد يجمع الدارس بين أكثر من تصنيف إذا كانت الدراسة شاملة لكل الغايات البلاغية من دراسة الموضوع القرآني، وقد يقتصر على بعضها، والمهم أن يكون التصنيف يخدم أهداف البحث، ويبرز خصوصية الدراسة الموضوعية.

وبالنسبة لترتيب النزول فإنه مفيد في دراسة سمة التدرج في الخطاب الدعوي والتشريعي وخصائصها الأسلوبية والمضمونية، لكنه ليس ممكناً في كل الموضوعات؛ إذ الروايات في ترتيب النزول غير متفقة في كثير من السور، وفي ثبوتها نظر، ولو ثبت منها شيء فإن كثيراً من السور لا تنزل دفعة واحدة، بل تتفرق آياتها في النزول، والترتيب الزمني لأكثر الآيات في الموضوع قد يستحيل، ولذا يلجأ بعضهم إلى ترتيبها بحسب ترتيب سورها، ولكن أي نتائج متعلقة بترتيب لا برهان عليه فلن يعتد بها.

### ثانياً: الكشف عن سياقات الموضوع المقامية والمقالية؛

السياق - كما سبق في الأسس - مؤثر في تخير الألفاظ والمعاني وترتيبها على صورة من النظم تؤدي تمام مراد المتكلم؛ فتحديد السياقات والكشف عنها أمر مهم في دراسة نظم الموضوع القرآني في السورة، ووجوه الاختلاف بين مواضعه في السور، ومن السياقات التي يعنى الدارس بكشفها: مقاصد السور، وأحوال النزول، والغرض من الموضوع، والمخاطبون به، وغيرها من السياقات المقامية والمقالية.

وأمثل على ذلك بموضوع "تدبر القرآن"، وهو محدود الآيات المصرحة به،  
فورد فيه أربعة مواضع في أربع سور، وهذه هي بسياقاتها:

الموضع الأول: قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ

غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٢﴾ [سورة النساء: ٨٢].

ورد هذا الموضع في سورة "النساء"، وهي السورة الرابعة في المصحف بعد "آل  
عمران"، ونزلت متفرقة في المدينة، كما أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها  
قالت: «ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عند النبي ﷺ» (١)، ونقل الإجماع  
على مدنيّتها (٢).

وتتناول في مجملها مقومات المجتمعات والأسرة المسلمة، والعلاقات  
الاجتماعية بين أفرادها، والأحكام المترتبة عليها، والتحذير من الأعداء الذين  
يسعون لتقويضها، وخصوصاً اليهود والمنافقون.

وقد قرّر الله من بداية السورة جملة من الأحكام، ثم ذكر ما عليه اليهود من  
العصيان، وتحريف الكلم عن مواضعه، وإرادة إضلال المؤمنين، ثم أمر المؤمنين  
بطاعة الله ورسوله والتحاكم إليهما، وانتقل السياق بعد ذلك إلى المنافقين، الذين  
يظهرون الإيمان ويطنون الكفر، ومع ذلك يصدون عن القرآن، ويتحاكمون إلى  
الطاغوت، وإذا كانوا في مجلس النبي ﷺ أظهروا له الطاعة فيما يقول، فإذا خرجوا  
من عنده خالفوا ما أظهموه له وبيّتوا غير الذي يقول.

وفي سياق هذا الإخبار عنهم والإنكار عليهم جاءت آية التدبر حصّاً لهم على

(١) أخرجه البخاري (ح ٤٧٠٧).

(٢) ينظر: المكي والمدني في القرآن، لعبدالرزاق حسين (١/٤٠٠).

تدبر القرآن؛ ليعرفوا صحة نبوة محمد ﷺ، وأن ما جاء به إنما هو من عند الله، وفيها إنكار على إعراضهم عن تدبره، إذ لو كانوا تدبروه عن صدق لاهتدوا إلى الحق<sup>(١)</sup>.  
والخطاب في السورة للمنافقين.



الموضع الثاني؛ قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ

الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ [سورة المؤمنون: ٦٨].

هذا الموضع في سورة "المؤمنون"، وهي السورة الثالثة والعشرون في المصحف بعد سورة "الحج"، ونزلت كلها في مكة بلا خلاف، ونقل الإجماع غير واحد من المفسرين<sup>(٢)</sup>.

وظاهر أن الغرض من السورة الترغيب في الإيمان بالنبى ﷺ وبما جاء به، وخصوصاً اليوم الآخر وما فيه من بعث بعد الموت، مع بيان طريق الإيمان ومعوقاته.

وتوافق اسم السورة (المؤمنون) مع مقصدها، وقد استهلت بذكرهم وبيان صفاتهم وفلاحهم. وختمت بما يقابل ذلك: خسارة الذين لا يؤمنون. وبين الاستهلال والختام حديث عن الإيمان وما يتعلق به من وجوه مختلفة.

وجاءت آية التدبر في سياق آيات تتحدث عن استكبار المشركين، والدوافع التي تدفعهم إليه، وتستوجب لهم العذاب.

(١) ينظر في تفسير الآية: البحر المحيط لأبي حيان، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود.

(٢) ينظر في تفسير السورة: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، وتفسير القرآن للعز بن عبد

السلام، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان، وينظر: المكي

والمدني، للفالح (ص ١٤٨).

والخطاب في السورة لمشركي مكة.

الموضع الثالث: قوله تعالى ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ

أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٣٦﴾ [سورة ص: ٢٩]، وفي فعل التدبر قراءتان:

الأولى: ﴿ لِيَدَّبَّرُوا ﴾ بالياء على الغيبة مع تشديد الدال، والضمير إما للكفار

الذين ابتدأت السورة بذكر مشاققتهم للرسول ﷺ، وإما لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم الذين جمعتهم الآية السابقة لآية التدبر: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٣٨﴾ [سورة ص: ٢٨].

والقراءة الأخرى: ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ بالتاء مع تخفيف الدال، خطاباً

للنبي ﷺ والمؤمنين (١).

وهذا الموضع في سورة "ص"، وترتيبها في المصحف الثامنة والثلاثون بعد

سورة "الصفات"، وحكى غير واحد من المفسرين الإجماع على أنها مكية (٢).

وورد في سبب نزول أولها أن قريشاً شكوا النبي ﷺ إلى عمه أبي طالب، فقال

لعمه: «إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً... يَا عَمُّ، يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فقالوا: إلهاً

واحداً، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق. فنزل فيهم: ﴿صَّ

وَالْقُرْءَانَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ [سورة ص: ١]، إلى قوله: ﴿بَلْ لَمَّا يَدُوُّوا عَذَابِ ﴿٨﴾

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/ ٣٦١).

(٢) ينظر في تفسير السورة: النكت والعيون للماوردي، والمححر الوجيز لابن عطية، وزاد المسير

في علم التفسير لابن الجوزي، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام، والجامع لأحكام القرآن

للقرطبي، وينظر: المكي والمدني، للفالح (ص ٢٥٤، ٢٥٦).

[سورة ص: ٨: (١)].

فإن ثبتت هذه الرواية فإن نزول السورة كان قبل موت أبي طالب في السنة العاشرة من البعثة.



والسورة في مجملها خطاب للنبي ﷺ، أن يثبت على الحق ويصبر عليه في مواجهة شقاق قومه وشدة مخاصمتهم له وقوة صبرهم على باطلهم، وأن السبيل إلى الثبات هو القرآن، الذي هو طريق العبودية لله، وبه الذكرى للنبي ﷺ وللمؤمنين ليثبتوا على الحق، ولقومه ليهتدوا إليه، وما سوى ذلك فهو الفتنة وسلوك طرق الضلال، التي يدفع إليها الهوى والدنيا والشيطان والاستكبار والطغيان، ومن حصل له من أهل العبودية شيء من الضرر أو الفتنة فما له إلا الصبر والإنابة والأوب إلى الله، كما حصل لبعض الأنبياء الذين ذكرهم الله في السورة، وما بهم إلى الجنة وهي حسن مآب. وأما أهل الكفر ممن اتبع الهوى والشيطان وطغى واستكبر فلم يؤوبوا إلى الله فما بهم إلى جهنم وهي شر مآب.

وجاءت آية التدبر في هذا السياق، الذي ينوه بشأن القرآن في الثبات على الحق والاهتداء إليه.

والمخاطب بالتدبر على اختلاف القراءات النبي ﷺ والمؤمنون والكافرون.

**الموضع الرابع:** قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤)

[سورة محمد: ٢٤]. وهذا الموضع في سورة "محمد"، وهي السابعة والأربعون بترتيب

المصحف، بعد سورة الفتح، وهي مدنية كلها على قول جمهور العلماء، وحكى

(١) أخرجه أحمد (ح ٢٠٠٨، ٣٤١٩)، والترمذي (ح ٣٢٣٢) وقال: هذا حديث حسن،

وأخرجه الحاكم (٤٣٢/٢) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في

ضعيف سنن الترمذي (ح ٣٢٣٢)، وكذا محققو مسند أحمد (٣/٤٥٨).



بعضهم الإجماع على ذلك كماوردى (ت ٤٥٠هـ)، وابن عطية (ت ٥٤٢هـ)، ولم يثبت ما يدل على مكيتها أو مكية شيء منها<sup>(١)</sup>.

وتسمى سورة "القتال"، ولعل هذه التسمية ترمز إلى مقصودها، الذي يظهر أنه التحريض على جهاد الكافرين؛ الذين يصدون عن سبيل الله، ويقفون حجر عثرة أمام الدعوة إلى الله.

ولعله من أجل هذا المقصود استهلّت السورة بذكر الكافرين، ووصفهم بالصد عن سبيل الله واتباع الباطل وإضلال الله لهم، في مقابل وصف المؤمنين بالله ورسوله بعمل الصالحات واتباع الحق وإصلاح الله لهم. وتمضي السورة في كثير منها على هذا المنوال من المقابلة بين الكافرين والمؤمنين في صفاتهم وأحوالهم وجزائهم الآخروي. وفيها تقبيح للدنيا الفانية، وتحسين للآخرة الباقية. وتقرير معية الله للمؤمنين، وما أكثر إظهار الاسم الشريف (الله) في هذه السورة! وفي ذلك كله مزيد ترغيب وتحضيض وتحريض على القتال في سبيل الله.

وفي الأثناء تتعرض السورة لفئة المنافقين الذين يعيشون داخل المجتمع الإسلامي، وهم يتهربون من القتال، ويثبطون المؤمنين، ويوالون أعداء الدين، فتتوعدهم، وتحذر المؤمنين منهم.

وفي سياق الحديث عن المنافقين تأتي آية التدبر التي يخاطبهم الله جل جلاله بها؛ موبخاً لهم ومنكراً عليهم عدم تدبرهم للقرآن.

### ثالثاً: تحليل العلاقات التناسبية للموضوع:

دراسة العلاقات التناسبية من صميم علم التناسب، لكن وجوهاً من التناسب لها صلة بالدراسة البلاغية للموضوع القرآني، منها:

(١) ينظر تفسير السورة في: النكت والعيون للماوردي، والمحرر الوجيز لابن عطية، والتحرير

والتنوير لابن عاشور، وينظر: المكي والمدني، للفالح (ص ٣١٦).

١) العلاقة بين الموضوع السابق واللاحق.

٢) والعلاقة بين آيات الموضوع في المواضيع المختلفة.

٣) وعلاقة الموضوع في السورة بموضوع السورة الأخرى.

وإن كان ثمة مناسبات أخرى تظهر من تحليل الموضوع فيتناولها الدارس.

ومما يؤكد أهمية تناول مثل هذه العلاقات في الدراسة الموضوعية أن مفاهيم الموضوع تتضح وتعمق بصورة أكثر حينما ينظر في علاقاته مع غيره، وسبق في التمهيد أن ذكرت أن المفاهيم الإسلامية لا يستقل بعضها عن بعض استقلالاً تاماً، بل بينها شبكة من العلاقات التي تربط بينها، على وجه العموم أو الخصوص أو التناظر أو التقابل أو غير ذلك من العلاقات؛ مما يكشف عن الصورة الكاملة للموضوع.

وهذه بعض التطبيقات:

١) علاقة التدبر بالإيمان والنفاق، في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ

الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾

[سورة النساء: ٨٢]. جاءت هذه الآية كما سبق بيانه في سياق الحديث عن المنافقين،

وكان مما ذكره الله عنهم قبل هذه الآية تقرير صدق النبي ﷺ ورسالته، والأمر

بطاعته، ثم بين موقف المنافقين منه تكديباً ومكرًا وخداعًا، فقال سبحانه:

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ

وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

﴿٨١﴾ [سورة النساء: ٨١].

ثم جاءت آية التدبر تفریعاً على حالهم بتكذيب النبي ﷺ؛ لتحتج عليهم، وتبين

لهم الطريق الذي يجدون فيه الدليل البين على صدق رسالته، وهو تدبر القرآن؛

الذي يقودهم إلى اليقين التام أنه كلام الله وليس ادعاء من محمد ﷺ، قال ابن عطية (ت ٥٤٢هـ): «المعنى: هؤلاء المنافقون الطاعنون عليك الدافعون بغير برهان في صدق نبوتك؛ ألا يرجعون إلى النصفة وينظرون موضع الحجة ويتدبرون كلام الله تعالى؟ فتظهر لهم براهينه، وتلوح أدلته؟... ثم عرّف تعالى بمواقع الحجة، أي لو كان من كلام البشر لدخله ما في كلام البشر من القصور، وظهر فيه التناقض والتنافي الذي لا يمكن جمعه، إذ ذلك موجود في كلام البشر، والقرآن منزّه عنه، إذ هو كلام المحيط بكل شيء علماً» (١).

فسياق الآيات بين أن ثمة علاقة بين ترك تدبر القرآن والنفاق وتقبل الشبهات في صدق النبي ﷺ ورسالته، وأن التدبر من أهم الأسباب الجالبة لليقين، ودفع الشبهة وبيان الحجة.

## ٢) العلاقة الموضوعية بين سورتي الأنفال والتوبة :

من الموضوعات التي برزت في سورة الأنفال: موالة المؤمنين، وقد حث الله جل جلاله الرسول ﷺ والمؤمنين على ذلك، وذكر شيئاً من مظاهرها، كالتصالح والنصرة، في مقابل موالة الكافرين بعضهم لبعض، وقد ختم الله السورة بآيات جامعة في الموالة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

﴿٧٢﴾ [سورة الأنفال: ٧٢]، وتضمنت السورة تحذيراً من موالة الكافرين والركون

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية (سورة النساء: آية ٨٢).

إليهم، وحصاً على البراءة منهم وجهادهم.

ثم جاءت سورة التوبة لتؤكد معنى المواالة بين المؤمنين في مثل هذه الآية:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة: ٧١]، لكن

التركيز في السورة من أولها على البراءة من الكفر وأهله، وقد ابتدأت بآيات تعلن

هذه البراءة بقوة، وتحث المؤمنين عليها: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ

عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ فَمِيعًا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ

مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ ۚ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ

يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ إِن تُبْتَغُوا فَهُوَ خَيْرٌ

لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة: ١-٣]. وتمضي الآيات بعد ذلك على مثل هذا النسق

القوي في إعلان البراءة من المشركين والحث على قتالهم وصد عدوانهم.

وهكذا يتعالق الموضوعان (الولاء للإيمان وأهله، والبراءة من الكفر وأهله) في

السورتين، على وجه التكامل؛ فلا ولاء إلا ببراء، ولا براء إلا بولاء، وكان السورتين

سورة واحدة، وقد كانتا تدعيان: القريبتين؛ لشدة اتصالهما.

رابعاً؛ دراسة المصطلح الرئيس للموضوع ودلالاته السياقية؛

في هذا الإجراء ينظر إلى المصطلح الرئيس للموضوع، وكيف جاء في المواضع

المختلفة: هل له مفهوم واحد في كل السياقات؟ أو أن ثَمَّ دلالات أخرى تصاحبه

مع اختلاف السياقات؟ وهل له استعمالات مختلفة خارجة عن الموضوع؟ وما

علاقتها به؟

وإذا نظرنا -مثلاً- في آيات التدبر السابقة؛ فسنجد أن لفظ التدبر فيها جميعاً

تتسم دلالاته بالثبات في كل سياقاته.

وجاء على الاستعمال اللغوي، إذ يقال: تدبّر الأمر، أي: تفكّر فيه وتأمل وجوهه ونظر فيه إلى آخره وفي عواقبه، من مادة "دب ر" وهي تدل في جلّ استعمالاتها على آخر الشيء وظهره وخلفه وعاقبته<sup>(١)</sup>، قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): «تدبّر الأمر: تأمّله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل<sup>(٢)</sup>، وقال الألوسي (ت ١٢٧٠هـ): «استعمل في كل تأمل؛ سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه»<sup>(٣)</sup>.

وفي التأمل والتفكير إعمال للعقل فيما لا يظهر من أول وهلة، وهذا يتطلب طول النظر وتكرّره مرة بعد مرة؛ ولذا جاء لفظ "التدبّر" - وكذلك التأمل والتفكير - على وزن "التفعل" بتضعيف التاء والعين، قال ابن القيم (ت ٧٥١هـ): «تدبّر الكلام: أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مرة بعد مرة؛ ولهذا جاء على بناء التفعل، كالتجرع والتفهّم والتبين»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): «والتدبير: التفكير والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه، بحيث كلما ازداد المتدبر تدبراً انكشفت له معان لم تكن بادية له بادئ النظر... ومعناه: أنه يتعقب ظواهر الألفاظ ليعلم ما

(١) ينظر في مادة (دبر): تهذيب اللغة للأزهري، والصحاح للجوهري، ومقاييس اللغة لابن

فارس، والمحكم لابن سيده، ولسان العرب لابن منظور.

(٢) الكشف، للزمخشري (سورة النساء: آية ٨٢).

(٣) روح المعاني، للألوسي (سورة النساء: آية ٨٢).

(٤) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٥٤٥).

يُدبر ظواهرها من المعاني المكنونة والتأويلات اللائقة» (١).

وعلى هذا المعنى يكون تدبر القرآن؛ بالتأمل والتفكير في معانيه ومبانيه، لأغراض عديدة تتعلق بكونه حقاً من الله، وبمقاصده، وأحكامه، وهداياته.



ومن الملحوظ أن لفظ التدبر لم يأت في القرآن إلا مقيداً به؛ مما يدل على أن القرآن يؤسس لنفسه هذا المصطلح، حتى غلب استعمال لفظ التدبر ومشتقاته على تدبر القرآن خاصة، وصار عند الإطلاق ينصرف إليه دون غيره.

وتم مصطلحات لموضوعات تأتي المفاهيم محملة بدلالات مختلفة، بحسب سياقاتها لمختلفة، ومن ذلك مثلاً: الإيمان.

فإنه في اللغة بمعنى التصديق، وفي القرآن يأتي باصطلاح خاص حين يقابل بالكفر قولاً واعتقاداً وعملاً، فهو تصديق بالله جل جلاله وبما أرسل به رسوله ﷺ، فاسم "الإيمان" يطلق على مسمى الدين الإسلامي، ويتناول المعتقدات والأقوال والأعمال، ما يكون بالقلب وما يكون باللسان والجوارح، ويشمل ذلك أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة، كما قال الله جل جلاله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الأنفال: ٢-٤]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾﴾ [سورة الإسراء: ٩].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (سورة ص: آية ٢٩).

لكن مصطلح "الإيمان" ورد في سياقات يقترن فيها باسم "الإسلام" فيكون حينئذ لكل مصطلح خصوصيته، فيختص الإيمان بالتصديق القلبي، والإسلام بالتصديق القولي والعملي، كما في قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسَأْمْنَا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٤]، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥].

ومثل ذلك ما ورد في حديث جبريل عليه السلام المشهور في مراتب الدين؛ ولهذا قيل: إذا اجتمعوا افترقا، وإذا افترقا اجتمعوا.

وهذا إجراء له علاقة بالعلم القرآني: الوجوه والنظائر.

**خامساً: رصد الظواهر الأسلوبية في البيان عن الموضوع على اختلاف مواضعه، مع الإشارة إلى وجوه الاختلاف فيما بينها:**

في هذا الإجراء لا يتبع الدراس نظم الآيات لفظة لفظة وتركيباً تركيباً؛ فإن هذا مجاله التفسير البلاغي، ولكنه يتدبر النظم التي جاء عليها الموضوع على اختلاف مواضعها، وينظر فيما اجتمعت عليه من الأساليب، إذ تكرر الأساليب في جميع المواضع أو أكثرها يفيد في تبين الطريقة الأقوم للقرآن في عرض الموضوع، ليهتدي بها من يتغيا الاقتداء بأسلوب القرآن في خطابه ودعوته، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾﴾ [سورة الإسراء: ٩].

ويقترن مع هذا الإجراء إجراء آخر ينظر فيما اختص به كل موضع من الأساليب، بحسب سياقه، وهذا متعلق بعلم من علوم القرآن، وهو المتشابه اللفظي.

ويسبق هذين الإجراءين إجراء لازم لهما، إذ معرفة وجوه الاتفاق والاختلاف مبنية على تحليل نظم كل موضع؛ لمعرفة ما يشتمل عليه من الأساليب.

كما يكون لأداة الإحصاء مدخل هنا، للنظر في مدى كون الأسلوب ظاهرة أسلوبية متكررة في الموضوع أو لا.

ولنأخذ آيات التدبر مثلاً تطبيقياً، ولو نظرنا في كل نظم منها لوجدنا ما يأتي:



الموضع الأول: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

يتألف نظم الآية من جملة التدبر ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، وهي جملة استفهامية، مكونة من همزة الاستفهام، الداخلة على (لا) النافية، واتصل بها فاء العطف أو التفریع، ثم فعل التدبر (يتدبر) بصيغة المضارع، متعدياً إلى المفعول به (القرآن).

ويتعلق بها جملة شرطية ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، وهي مكونة من أداة الشرط (لو) الامتناعية، وفعل الشرط (كان) وما دخلت عليه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾، ثم جواب الشرط: ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

الموضع الثاني: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٦٨].

يتألف النظم من جملة التدبر: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾، ثم جمل أخرى بعدها متبوعة بـ "أم" المعادلة أو التي للإضراب: ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

وجملة التدبر تتكون من همزة الاستفهام، الداخلة على "لم" النافية، واتصل بها فاء العطف أو التفریع، ثم فعل التدبر بصيغة المضارع، مع إدغام التاء في الدال



(يُدبر)، متعدياً إلى مفعول به (القول).

**الموضع الثالث:** ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو

الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ [سورة ص: ٢٩]، يتألف النظم من جملة خبرية، جاءت فيها جملة

التدبر: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ تعليلاً لإنزال القرآن، وفعل التدبر فيها بصيغة

المضارع، مع إدغام التاء في الدال (يُدبر)، متعدياً إلى مفعول به (آياته).

وبعدها جملة تعليلية أخرى معطوفة عليها: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾.

**الموضع الرابع:** ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة

محمد: ٢٤].

يتألف النظم من جملة التدبر: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، مكونة من همزة

الاستفهام، الداخلة على "لا" النافية، واتصل بها فاء العطف أو التفرع، ثم فعل

التدبر بصيغة المضارع، متعدياً إلى مفعول به (القرآن).

ثم بعدها جملة أخرى متبوعة بـ "أم" المعادلة أو التي للإضراب: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾.

وبعد استقراء هذه المواضع نجد أن الظواهر الأسلوبية فيها هي:

#### الاستفهام:

جاءت جملة التدبر بأسلوب الاستفهام في ثلاثة مواضع من تلك المواضع

الأربعة:

موضعان في خطاب منافقي المدينة، وهما قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ

الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

[سورة النساء: ٨٢].

والثالث في خطاب مشركي مكة، وهو قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٦٨].

ومعلوم بدهاة أن الاستفهام في هذه المواضع لا يراد به حقيقته؛ فالله جل جلاله هو العليم الخبير، وإنما جاءت صيغة الاستفهام لمعان أخرى، في سياق الحجاج مع المنافقين والمشركين.

أما خطاب المنافقين فكان نظم الاستفهام واحداً في الموضوعين: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ بهمزة الاستفهام الداخلة على "لا" النافية المتصلة بالفاء، وبعدها فعل مضارع.

وهذه الصورة من النظم وردت في (٤٥) موضعاً من القرآن<sup>(١)</sup>، منها قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٤]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٧٤]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [سورة الغاشية: ١٧].

وتدل على أن الفعل الذي دخل عليه "أفلا" يُراد حصوله؛ فتفيد حينئذ الأمر

(١) هي: البقرة (٤٤، ٧٦)، وآل عمران (٦٥)، والنساء (٨٢)، والمائدة (٧٤)، والأنعام (٣٢)، (٥٠، ٨٠)، والأعراف (٦٥، ١٦٩)، ويونس (٣، ١٦، ٣١)، وهود (٢٤، ٣٠، ٥١)، ويوسف (١٠٩)، والنحل (١٧)، وطه (٨٩)، والأنبياء (١٠، ٣٠، ٤٤، ٦٧)، والمؤمنون (٢٣، ٣٢، ٨٠، ٨٥، ٨٧)، والقصاص (٦٠، ٧١، ٧٢)، والسجدة (٤، ٢٦، ٢٧)، ويس (٣٥، ٦٨، ٧٣)، والصفات (١٣٨، ١٥٥)، والزخرف (٥١)، والجنات (٢٣)، ومحمد (٢٤)، والذاريات (٢١)، والغاشية (١٧)، والعاديات (٩).

والتحضيض، وقد يصحبها الإنكار والتوبيخ والتعجب، وهذا المفهوم من سياق الاستفهام في آتي التدبر، قال ابن عطية (ت ٥٤٢هـ) في آية النساء: «هذا أمر بالنظر والاستدلال»<sup>(١)</sup>، وقال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): «الاستفهام إنكاري للتوبيخ والتعجب منهم في استمرار جهلهم مع توفر أسباب التدبر لديهم»<sup>(٢)</sup>.

وإنما حضهم الله على التدبر؛ لأنه لم يحصل منهم، ولو تدبروا لتذكروا واتعظوا، لكنهم قوم لا يتدبرون القرآن؛ لشدة ما في نفوسهم من النفرة عن الإيمان والبغض لكلام الله عز وجل ولرسول الله ﷺ والعداوة للمؤمنين، وقد قال الله عنهم في الآية التي سبقت آية التدبر في سورة محمد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٣].

وأما خطاب المشركين ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٦٨].

فجاء نظم جملة التدبر ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ بهمزة الاستفهام الداخلة على "لم" النافية المتصلة بالفاء، وبعدها فعل مضارع.

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية (سورة النساء: آية ٨٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (سورة النساء: آية ٨٢)، وينظر في تفسير هذه الآية وآية سورة محمد (٢٤): المحرر الوجيز لابن عطية، وتفسير الرازي، والتسهيل لابن جزي، والبحر المحيط لأبي حيان، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ونظم الدرر للبقاعي، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

وهذه الصورة من النظم وردت في (١٢) موضعاً من القرآن<sup>(١)</sup>.

وتدل على أن الفعل الذي دخلت عليه "أفلم" قد حصل، ولذا يصح أن يُعطف

عليها جملة فعلها ماض، كما في قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ

عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرُوا وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ [سورة الجاثية: ٣١]، أي: قد كانت

آياتي تتلى فاستكبرتم. وهكذا في كل نظم دخلت فيه همزة الاستفهام على "لم"،

كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ [سورة

الشرح: ١-٢]. أي: قد شرحنا ووضعنا<sup>(٢)</sup>.

وتفيد حينئذ التقرير<sup>(٣)</sup>، وربما جاء في سياق الاستنكار والتوبيخ والتعجب؛

مبالغة فيها، كما في آية التدبر: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴿١﴾﴾، إذ قد حصل منهم تدبر،

لكنهم لم ينتفعوا به استكباراً.

وذهب بعض المفسرين إلى أن التدبر لم يحصل منهم، ولو تدبروا لانتفعوا،

فالاستفهام حينئذ للحضّ على التدبر<sup>(٤)</sup>.

والذي يظهر من السياق أنه للتقرير والتوبيخ كما سبق، وأنهم قد حصل منهم

(١) هي: يوسف (١٠٩)، والرعد (٣١)، وطه (١٢٨)، والحج (٤٦)، والمؤمنون (٦٨)،

والفرقان (٤٠)، وسبأ (٩)، ويس (٦٢)، وغافر (٨٢)، والجاثية (٣١)، ومحمد (١٠)، وق

(٦).

(٢) ينظر: مغني اللبيب، لابن هشام (٩/١).

(٣) قال الرضي في شرح الكافية (القسم الثاني / ٨٩٨): «إذا دخلت همزة على "لم" و"لما"

فهي للاستفهام على سبيل التقرير، ومعنى التقرير: إلقاء المخاطب إلى الإقرار بأمر

يعرفه».

(٤) ينظر في تفسير الآية: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، والبحر المديد لابن عجيبة، والتحرير

والتنوير لابن عاشور.

التدبر، كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين<sup>(١)</sup>، وهذا ظاهر من حالهم، وقد أشار القرآن إلى هذا، فقال عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [سورة فصلت: ٢٦]، وهم يفعلون ذلك لأنهم يدركون ما فيه من الحق وقوة التأثير.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَر شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [سورة الكهف: ٥٤]، وما يجادلون إلا عنادًا واستكبارًا بعد أن عرفوا ما فيه من الحق.

وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٣٠] - ﴿وَلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [سورة الزخرف: ٣١]، وهذا منهم حسد للنبي ﷺ أن ينزل عليه مثل هذا القرآن العظيم، وما قالوا ذلك إلا عن معرفة به.

وإنما وصفوه بالسحر وغيره بعد أن تأملوه وعرفوا ما فيه، كما في قصة الوليد بن المغيرة وقولته المشهورة عن القرآن: والله، ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مُغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته<sup>(٢)</sup>. لكنهم عاندوا واستكبروا، كما

(١) ينظر في تفسير الآية: تفسير القرآن العظيم للماتريدي، والمحرم الوجيز لابن عطية، وتفسير الرازي، والبحر المحيط لأبي حيان، والجواهر الحسان للثعالبي، وتفسير الشعراوي.

(٢) أخرج القصة الحاكم في المستدرک (٢/٥٥٠)، وقال: صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وينظر: البداية والنهاية (٤/١٥٢-١٥٥).

قال الله جل جلاله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة المدثر: ٢٣-٢٥].

ثم إن الله جل جلاله تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولكنهم عجزوا، ولن يكون ذلك منهم إلا بعد نظر وتأمل، يدركون به أنهم لا يستطيعون، ولو كانوا قادرين لما حكموا على أنفسهم بالعجز حينما سلكوا طريق السنان وهو عليهم صعب، وتركوا طريق اللسان، وهم له أهل وعليهم سهل.

كل ذلك يؤكد أنهم حصل منهم تدبر للقرآن، لكنهم يستكبرون، كما وصفهم الله قبل هذه الآية فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُ صَوْنَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلِيمًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة المؤمنون ٦٦-٦٧].

ولاختلاف حال المنافقين والمشركين مع التدبر اختلف نظم الاستفهام في خطاب كل منهما، فجاء خطاب المنافقين بـ "أفلا"، والمشركين بـ "أفلم".

وأما آية سورة "ص" فلم تأت بالاستفهام، وإنما جاءت بصيغة الخبر: ﴿كَتَبْنَا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة ص: ٢٩].

ولعله لكون الخطاب عامًا للنبي ﷺ والمؤمنين وغيرهم؛ بدلالة القراءة الأخرى بصيغة الخطاب، وليس السياق لتوبيخهم والإنكار عليهم حجاجًا عليهم، بل سياق السورة يقرر أن القرآن ذكر للعالمين، وسبب لثبات النبي ﷺ والمؤمنين في مواجهة الشقاق والمخاصمة من الكافرين، فاقضى أن يكون هذا التقرير بصيغة خبرية تعليلية، وفي التعليل تعريض بالحث على فعل التدبر، والتذكر به.

فالسباق في آيات "النساء، والمؤمنون، ومحمد" فيه حجاج، اقتضى الاستفهام، وكثيرًا ما يستخدمه القرآن في مثل هذا السياق؛ لما فيه من قوة الإثارة والتنبيه

والتأثير، مما يحمل المخاطب على المراجعة وإعادة النظر والتفكير، لعله يقتنع ويستجيب، قال عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) بعد أن تناول بعض الاستفهامات في معنى الإنكار: «اعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع، ويعبى بالجواب» (١).

ومن خلال ما سبق يتبين الاختلاف في أسلوب الخطاب بالموضوع بحسب اختلاف حال المخاطبين وسياق الخطاب.

### الجملة الفعلية بصيغة المضارع المنفي:

مما انفقت عليه المواضيع كلها أن جاءت جملة التدبر جملة فعلية (أفلا يتدبرون، أفلم يدبروا، ليدبروا، لتدبروا)، وكان البيان بالفعل المضارع. والفعل يؤتى به عند اقتضاء المقام تقييد الحدث بأحد الأزمنة الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) على أخصر وجه (٢).

والمضارع يدل على وقوع الفعل في الزمن الحاضر، ما لم يقترن به ما يدل على إرادة الاستقبال، كسوف، وأدوات الشرط، أو على إرادة الماضي، كلم ولما. ويؤتى به ليفيد تجدد حصول الفعل؛ بتكرره واستمراره شيئاً فشيئاً. وكذلك لاستحضار الصورة الماضية أو المستقبلية، وكأنها تشاهد في الحاضر. وجاء الفعل المضارع في آيات التدبر مقترناً بالنفي في ثلاثة مواضع، ومثباً في موضع.

أما الإثبات ففي آية "ص" بالقراءتين: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ ﴿لَتَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ على

(١) دلائل الإعجاز، للجرجاني (ص ١١٨).

(٢) ينظر: مفتاح العلوم: (ص ٢٠٨)، وشروح التلخيص (٢/ ٢٥).

وجه التعليل لإنزال القرآن، تعريضاً بإرادة حصول التدبر، على وجه الاستمرار التجددي.

وأما النفي فجاء بحرفين: "لا" في موضعين، و"لم" في موضع.

والفرق بين "لا" و"لم" إذا دخلتا على المضارع:

أن "لم" - وهي لا تدخل إلا على المضارع - الأصل فيها أن تنفي حدوث الفعل مقيداً بالزمن الماضي، مع إمكان الحدوث حاضراً أو مستقبلاً. وأما "لا" فالأصل أن تنفي الفعل بإطلاق، على وجه يفهم منه إرادة دوام النفي، وملازمته للمنفي عنه، حتى يكون وصفاً أو كالوصف، ما لم يدل السياق على غير ذلك<sup>(١)</sup>.

ففرق بين: فلان لم يسمع، ولا يسمع. فقول: "لم يسمع" نفي لسمع متعلق بإسماع معين، و"لا يسمع" نفي للسمع من أصله؛ إما حقيقة وإما مجازاً. فكذلك: فلان لم يتدبر، ولا يتدبر؛ أما "لم يتدبر" فمجرد نفي لوقوع التدبر في زمن مضى، وأما "لا يتدبر" فإثبات صفة سلبية ملازمة للموصوف، فهو لم يتدبر، ولن يتدبر، إلا أن يشاء الله.

وتدخل همزة الاستفهام على أداة نافية لفعل مضارع فتفيد التقرير، والتقرير فيه إثبات:

أما دخولها على "لم" فتفيد إثبات حصول الفعل في الماضي، كما في جملة التدبر في سورة "المؤمنون" ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾.

والسياق فيه إنكار وتوبيخ لمشركي مكة؛ فمجيء الفعل بصيغة المضارع في هذا

(١) ينظر في الفرق: النفي في القرآن، للسديس (١٤٦-١٤٨، ٣٠٧).



السياق يشعر أنهم لم يكتفوا بالنظر في القرآن مرة واحدة، بل كانوا يتأملون فيه ويتدبرونه المرة بعد المرة، مما جعلهم يستحقون مثل هذا الإنكار التوبيخي والتعجب لعدم اهتمامهم وهم يتدبرون.

وأما دخولها على "لا" فتفيد إثبات حصول الفعل، أو إرادة حصوله في المستقبل، على وجه الدوام، كما في جملة التدبر ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ في سورتي "النساء، ومحمد".

واختلفت صيغة المضارع بين الآيات؛ ففي خطاب المنافقين في سورتي "النساء، ومحمد" جاء الفعل بإظهار جميع حروفه (يتدبرون)، وفي خطاب المشركين في سورة "المؤمنون" بإدغام التاء والذال (يدبروا)، وأما في سورة "ص" فقرئت على وجه الغيبة بإدغام التاء والذال (ليدبروا)، وعلى وجه الخطاب للنبي والمؤمنين من غير إدغام مع حذف تاء الفعل (لتدبروا) وأصله: لتدبروا. والذي يظهر لي أن الإدغام والحذف لتجنب ثقل النطق الذي لا يقتضيه المقام؛ مراعاة للانسجام الصوتي.

وذكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) أن إظهار التاء في سورة "محمد" «إشارة إلى أن الأمور به صرف جميع الهمة إلى التأمل»<sup>(١)</sup>، وأن قراءة الإدغام (ليدبروا) في سورة "ص" إشارة إلى إرادة التدبر منهم ولو لم يبلغوا في نظرهم الغاية، وأما القراءة الأخرى بغير إدغام (لتدبروا) «إشارة إلى الاجتهاد في فهم خفاياه»<sup>(٢)</sup>. ولعله نظر إلى قاعدة أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى؛ فلفظ "يتدبرون" من

(١) نظم الدرر، للبقاعي (سورة محمد: آية ٢٤).

(٢) السابق (سورة المؤمنون: آية ٦٨).

غير إدغام يفيد بلوغ الغاية في التدبر، وبالإدغام ما هو أقل من ذلك.

وهذا له وجه، بحسب حال المخاطبين وسياق الخطاب؛ فإن المنافقين أشد إعراضاً من المشركين، وسياق خطابهم للتحضيض؛ فحسن ترك الإدغام، وأما المشركون فقد يحصل منهم التدبر، وليس السياق للتحضيض؛ فحسن الإدغام، وأما قراءة الخطاب في سورة "ص" فالمؤمنون يتدبرون القرآن لكن السياق لتقرير التدبر على جهة التفصيل؛ بتتبع الآيات آية آية، فناسبه ترك الإدغام. قد يكون هذا التوجيه مراداً مع الانسجام الصوتي، والله أعلم.

وعلى كل حال فإن مجيء التدبر بصيغة المضارع يدل على أن المطلوب من العباد تجدد النظر في كتاب الله جل جلاله، وتدبره مرة بعد مرة، حتى يكون وصفاً ملازماً لهم.

### تقييد فعل التدبر بالقرآن:

في كل المواضع جاء فعل التدبر مقيداً بالقرآن، لكن اختلف البيان القرآني عنه؛ ففي "النساء، ومحمد" جاء التقييد بلفظ "القرآن"، وفي "المؤمنون" بلفظ "القول"، وفي "ص" بلفظ "آيات" مضافة إلى ضمير "الكتاب".

أما التقييد بالقرآن فعلى الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، فيما يظهر.

وأما التقييد بالقول فلعله لما يأتي:

(١) وصف القرآن قبل آية التدبر بأنه كتاب ينطق بالحق، قال تعالى: قوله

تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

﴾ [سورة المؤمنون: ٦٢].، والنطق بالحق قول، وهو قول حق، فناسب "النطق"

لفظ "القول".

(٢) ما سبق من بيان حالهم التي رتب الله جل جلاله عليها توبيخهم، والتي

ذكرها الله في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ

تَنْكِبُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلِيمًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ [سورة المؤمنون: ٦٧].

و"تَهْجُرُونَ": من "الهَجْر" وهو الهذيان بالقول السيئ والباطل والمنكر، وهذا

المعنى تؤيده قراءة نافع: "تُهْجِرُونَ" بضم التاء وكسر الجيم (١).

أو من "الهَجْران" بمعنى الإعراض، وهو هنا الإعراض عن ذكر الله وما نزل من

الحق (٢).

وكلا المعنيين متحققان في هؤلاء المشركين؛ فهم يسمرون بالبيت الحرام

معرضين عن الحق ومستكبرين، ويهدون بالسيئ من القول في القرآن والنبى ﷺ.

وإذا كانوا يهدون بقول باطل؛ فإن الكتاب الذي نزل قول ينطق بالحق، ولعل

التعريف باللام يشعر بأنه الأحق بوصف القول، وأما باطلهم فهو هذيان لا يستحق

اسم القول، و"أل" تفيد بحسب السياق كمال الوصف.

(٣) قال البقاعي (ت ٨٨٥هـ): «لعله عبر بالقول إشارة إلى أن من لم يتقبله ليس

بأهل لفهم شيء من القول، بل هو في عداد البهائم» (٣).

(٤) السورة تشيع فيها بصورة ظاهرة ولافتة مادة القول بتصريفاتها المختلفة

فعلية واسمية، وفيها أيضاً ألفاظ ومعان تنتمي إلى حقل القول، كاللغو، والسماع،

والخطاب، والصيحة، والأحاديث، والنطق، والجوار، والهجر، والذكر، والدعوة،

والتضرع، والكلمة والتكليم، والتساؤل، والتلاوة.

وأما التقييد بالآيات مضافة إلى ضمير الكتاب في سورة "ص" فاجتمع فيه لفظا

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/ ٣٢٩).

(٢) ينظر في تفسير الآية: جامع البيان للطبري، وموسوعة التفسير المأثور.

(٣) نظم الدرر، للبقاعي (سورة المؤمنون: آية ٦٨).

الآيات والكتاب.

أما "الكتاب" فإنه جاء خبراً عن القرآن، فقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ أي: هذا القرآن كتاب. وهل الإشارة المقدره إلى مذكور؟ أو إلى معهود؟ يحتمل الأمرين؛ فالقرآن جرى ذكره في أول السورة، ثم عاد الحديث إليه، أو هو إشارة إلى هذا الكتاب المعهود، بعد ما ذكره الله من حال داود عليه السلام. ولماذا جاء البيان القرآني بلفظ الكتاب؟ لأحد الأمرين الآتين، أو كليهما:

الأول: أن مما ذكره الله جل جلاله عن مشاقة المشركين للرسول قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَوْلَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [سورة ص: ١٦]، والقِطُّ عند العرب يأتي بمعنى الكتاب والصَّكُّ: كتاب المحاسبة أو العطاء، ويستعمل في معنى النصيب والجزاء والحظ<sup>(١)</sup>.

وروي تفسير القِطِّ في الآية بالكتاب والصحيفة عن ابن عباس (ت ٦٨هـ) والحسن (ت ١١٠هـ) ومقاتل (ت ١٥٠هـ)، وروي أيضاً تفسيره بالنصيب والجزاء والحساب والحظ<sup>(٢)</sup>.

ولمّا كان قول المشركين هذا على وجه السخرية والاستهزاء أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالصبر، وضرب له مثلاً من صبر داود عليه السلام للتأسي به.

ثم عاد الخطاب إلى الحديث عن القرآن فذكره بوصف الكتاب مناسبة لتعجيل المشركين كتاب نصيبهم من الجزاء والحساب، وفيه تعريض لهم بأن هذا الكتاب

(١) ينظر مادة (قِطُّ) في: العين، وتهذيب اللغة للأزهري، والصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده، ولسان العرب لابن منظور.

(٢) ينظر في تفسير الآية: موسوعة التفسير المأثور.

صَكَّ نصيبيهم وصحيفة حسابهم؛ فلا يستعجلوا.

الثاني: بعد أن ذكر الله جل جلاله حال داود عليه السلام وما آتاه الله من الفضل والملك والحكمة وفصل الخطاب، وقد آتاه الله الزَّبُورَ كتابًا كما قال سبحانه: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾؛ بَيَّنَّ لنبيه أنه قد آتاه كتابًا مباركًا هو أعظم مما آتى داود عليه السلام، وعظَّمه الله من وجوه: أولها تنكيره (كتاب) المشعر بالتعظيم؛ «لأن الكتاب معلوم؛ فما كان تنكيره إلا لتعظيم شأنه»<sup>(١)</sup>، ثم وصفه بالإنزال المسند إلى الله جل جلاله بضمير العظمة (أنزلناه)، ثم وصفه بالبركة (مبارك)، وبالتنكير لئلا يكون محدودًا أو معهودًا، وقال السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ): «وَقُرِئَ "مَبَارَكًا" عَلَى الْحَالِ اللَّازِمَةِ؛ لِأَنَّ الْبِرْكَةَ لَا تَفَارِقُهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَوَصَفَ الْقُرْآنَ بِالْبِرْكَةِ قَرِينَةً عَلَى أَنْ الْآيَةَ مُتَعَلِّقَةٌ أَيْضًا بِذِكْرِ دَاوُدَ؛ فَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ مَبَارَكٌ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ<sup>(٣)</sup>، آخِرُهَا آيَةُ "ص"، وَفِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ السَّابِقَةِ لَا يُوصَفُ بِالْبِرْكَةِ إِلَّا بَعْدَ ذِكْرِ مُوسَى عليه السلام وَمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَى، وَهَكَذَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ سُورَةِ "ص" جَاءَ وَصْفُهُ بَعْدَ دَاوُدَ عليه السلام وَمَا آتَاهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مِنَ الْحِكْمَةِ. وَفِي ذَلِكَ تَأْنِيسٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْظِيمٌ لِشَأْنِهِ، وَلِشَأْنِ الْقُرْآنِ تَمْهِيدًا لَعَلَّةَ إِنْزَالِهِ.

وَأَمَّا تَقْيِيدُ التَّدْبِيرِ بِـ"الْآيَاتِ" فَجَاءَتْ فِي سِيَاقِ آيَةٍ مُقَرَّرَةٍ لَعَلَّةَ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ، عَلَى وَجْهِ الْإِخْبَارِ، لَا عَلَى وَجْهِ الْحِجَاجِ كَمَا فِي الْمَوَاضِعِ الْأُخْرَى، وَإِلَّا قِيلَ: لِتَدْبُرُوهُ،

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (سورة ص: آية ٢٩).

(٢) الدر المصون، للسمين الحلبي (سورة ص: آية ٢٩)، وينظر في تفسير الآية: البحر المحيط،

لأبي حيان.

(٣) هي: سورة الأنعام (آية ٩٢، و ١٥٥)، وسورة الأنبياء (آية ٥٠)، وسورة ص (آية ٢٩).

أو: لِيَدَّبَّرُوهُ، أي: الكتاب؛ على وجه الإجمال، كما قال في الحجاج: ﴿أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ و﴿أَقْلَمَ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾، فيكفي تدبر بعضه ليدل على صدق النبي ﷺ ورسالته.



وأما هنا فالسورة من أولها إلى آخرها تحث النبي ﷺ والمؤمنين وغيرهم على التذكر بالقرآن، الموصوف من أول آية بأنه ذو الذكر، والتذكر حقيقته الاتعاض بمواعظه والائتمار بأوامره والانتها عن نواهيه والاهتداء بهديه، ولا يكون هذا إلا بتدبره على جهة التفصيل؛ سورة سورة وآية آية، ولعله لهذا قُيد التدبر بالآيات.

#### سادساً: رصد التحولات الموضوعية والأسلوبية بحسب النزول:

وهذا الإجراء متعلق بزمن النزول، فينظر إلى الخط الزمني لآيات الموضوع، وهل جاءت في جميع مراحل أسلوب واحد ومضمون واحد ومخاطب واحد؟ أو أنه في كل مرحلة زمنية تتغير الأساليب والمضامين والمخاطبين؟

وهذا الإجراء مفيد في دراسة سمة التدرج في الخطاب الدعوي والتشريعي وخصائصها الأسلوبية والمضمونية، لكنه ليس ممكناً مع كل موضوع؛ لأن التحديد الدقيق لزمن النزول في كل موضع قد يصعب أو يتعذر؛ لعدم الدليل، ولذا يُكتفى بترتيب الآيات على العهدين: المكي، والمدني، بغض النظر عن ترتيبها داخل كل عهد، ما لم يكن ثمة دليل.

ولنأخذ على ذلك مثلاً موضوع تحريم الخمر، فقد ورد متدرجاً في أربعة مواضع:

الأول: في سورة النحل، وهي مكية: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ

مِنهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ [سورة النحل: ٦٧]. (١).

الثاني: في سورة البقرة، وهي من أوائل ما نزل في المدينة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [سورة البقرة: ٢١٩].

الثالث: سورة النساء، ونزلت في المدينة بعد البقرة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [سورة النساء: ٤٣].

الرابع: سورة المائدة، ونزلت في آخر العهد المدني: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة: ٩٠-٩١].

وقد صحَّ هذا التدرج في الحديث عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، فدُعي عمر ؓ، فقرأت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآية التي في سورة النساء: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾، فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى: أن لا يقربن الصلاة سكران، فدُعي عمر ؓ، فقرأت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر

(١) ذكر هذا الموضوع غير واحد من المفسرين عند تفسير سورة البقرة (آية ٢١٩) منهم: الثعلبي

في الكشف والبيان، والبغوي في معالم التنزيل، والزمخشري في الكشاف، والرازي في

تفسيره، وغيرهم.

بيانا شافيا، فنزلت الآية التي في المائة، فدُعي عمر رضي الله عنه، فقرئت عليه، فلما بلغ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ <sup>(١)</sup> قال عمر رضي الله عنه: انتهينا، انتهينا <sup>(١)</sup>.

والتدرج سمة بارزة في الخطاب الإسلامي؛ مراعاة للطبيعة البشرية وأحوال المخاطبين، كما قالت عائشة رضي الله عنها: إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر؛ لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا؛ لقالوا: لا ندع الزنا أبداً <sup>(٢)</sup>.

ويؤكد هذا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً؛ تُؤَخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فتردُّ على فقرائهم، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَيَاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ» <sup>(٣)</sup>.

وننظر كيف تدرجت الأساليب والمضامين في آيات الخمر: أما آية النحل فجاءت في سورة تعدد على المشركين نعم الله عليهم ووجوه انتفاعهم بها؛ لأخذ العبرة من ذلك تقريراً لربوبيته، واحتجاجاً بها على التوحيد

(١) أخرجه أحمد (ح ٣٧٨)، والترمذي (ح ٣٠٤٩) وصححه، والحاكم (ح ٧٢٢٤) وصححه، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في تفسيره (سورة المائة: آية ٩٠): «صحح هذا الحديث علي بن المديني والترمذي».

(٢) أخرجه البخاري (ح ٤٩٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح ١٤٩٦)، ومسلم (ح ١٩).



واليوم الآخر، وبيانا لفساد شركهم.

ومما ذكرته السورة مما يدعو إلى الاعتبار ما يتخذونه من ثمرات النخيل والأعناب سكرًا ورزقًا حسنًا.

و"السَّكَّر" يطلق على ما يُسَكَّر، أي: يذهب بالوعي ويغطي على العقل، من خمر وغيره، و"السُّكَّر" نقيض الصحو<sup>(١)</sup>، وبالخمر فسر السَّكَّر في الآية جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم<sup>(٢)</sup>.

والآية تخبر عن واقعهم الذي يتخذون فيه من ثمرات النخيل والأعناب ما يستمتعون به ويطعمونه، ويحولون تلك الثمرات إلى أشياء أخرى كالخمر والنبيد والخلّ والدبس والزبيب وغير ذلك؛ لأخذ العبرة على توحيد الله وقدرته على البعث، ولم تنزل الآية لتحليل الخمر أو النهي عنه، لكن نظم الآية تضمن التعريض بكرهته، وعدم استحسانه، والخط من شأنه<sup>(٣)</sup>، ومن ذلك:

(١) مقابلة السَّكَّر بالرَّزْق؛ فالخمر حينئذ غير داخل في مسمى الرِّزْق، والرِّزْق إنما هو ما أَرَادَهُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ مِنَ الْإِنْعَامِ بِتِلْكَ الثَّمَرَاتِ مِمَّا طَابَ مِنْ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ وَمَدَّخَرٍ، لا ما يتخذونه من السَّكَّر، كما قال الله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٢]، وقد

(١) ينظر مادة (سكر) في: العين، وتهذيب اللغة للأزهري، والصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده.

(٢) ينظر في تفسير الآية: جامع البيان للطبري، وموسوعة التفسير المأثور، وأضواء البيان للشنقيطي.

(٣) ينظر في تفسير الآية: أنوار التنزيل للبيضاوي، وروح المعاني للألوسي.

قال الله عز وجل بعد الآية بآيات: ﴿وَرَزَقْنَاكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَمْبًا بَاطِلًا يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٦) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ [سورة النحل: ٧٢-٧٣]، فهم يتخذون هذه الثمرات رزقًا كما أراد الله، ويتخذونها سكرًا كما يحلوا لهم؛ ولذا أسند فعل الاتخاذ إليهم؛ لأن إخراج الثمرات ورزقهم إياها ليس من فعلهم، بينما تحويلها إلى خمر أو الانتفاع بها من صنعهم، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ [سورة يس: ٣٤]. (١).

(٢) وَصَفَ الرِّزْقَ بِالْحَسَنِ، بينما السكر لم يوصف به، وهذا يشعر بأن السكر غير مستحسن؛ إذ لا يُقَابَلُ الْحَسَنَ إِلَّا بِمَا لَيْسَ بِحَسَنِ، ويؤكد هذا المثل الذي ضربه الله جل جلاله بعد ذلك: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ [سورة النحل: ٧٥]، فالمؤمن ينفق من الرزق الحسن لا مما دونه.

قال الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) تعقيباً على قول البيضاوي (ت ٦٨٥هـ): «الآية إن كانت سابقة على تحريم الخمر، فدالة على كراهتها...» (٢)، قال: «وجه دلالتها على الكراهية؛ بأن الخمر وقعت في مقابلة الحسن، وهو مقتض لبقبحها، والقبیح لا يخلو عن الكراهية، وإن خلا عن الحرمة» (٣).

(١) ينظر في تفسير الآية: البحر المحيط لأبي حيان، وروح المعاني للألوسي.

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي (سورة النحل: آية ٦٧).

(٣) روح المعاني، للألوسي (سورة النحل: آية ٦٧).

٣) ختم الآية بفعل العقل في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٦٧) مناسبة لذكر السكر، قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): «ناسب ذكر العقل هاهنا؛ فإنه أشرف ما في الإنسان، ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة؛ صيانة لعقولها» (١)، وقال الألوسي (ت ١٢٧٠هـ): «إذا كان في الآية إشارة إلى الحط من أمر السكر ففي الختم المذكور تقوية لذلك، وله في النفوس موقع، وأي موقع!» (٢).

وأما آية البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [سورة البقرة: ٢١٩]، فتعد أول مرحلة صريحة في تقبيح الخمر، وإن لم يظهر منها التحريم، قال مجاهد: «هذا أول ما عيبت به الخمر» (٣)، وقال قتادة (ت ١١٨هـ): «ذم الله الخمر بهذه الآية، ولم يحرمها» (٤).

وجاءت بصيغة خبرية جواباً لسؤال من المؤمنين عن الخمر والميسر، ودلّ الجواب على أن المسؤول عنه حكم تعاطيها لا ذاتها.

ومن أساليب النظم في تقبيح الخمر ما يأتي:

١) عرض الموضوع من خلال تساؤل، وإسناده إلى جمع، وهذا يشعر أن في المسلمين من يكره الخمر، ويتردد فيه، ويتنظر تحريمه.

٢) جاء الجواب متدرجاً في الموازنة بين إثم الخمر ونفعه؛ فبدأ بما يشعر

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (سورة النحل: آية ٦٧).

(٢) روح المعاني، للألوسي (سورة النحل: آية ٦٧).

(٣) ينظر في تفسير الآية: جامع البيان للطبري، وموسوعة التفسير المأثور.

(٤) ينظر في تفسير الآية: المحرر الوجيز لابن عطية.

بالتخير بين الامتناع والإقدام (فيهما إثم كبير ومنافع للناس)، ثم انتقل إلى تفضيل يدعو إلى الورع والامتناع، وإن لم يكن فيه نهى صريح (وإثمهما أكبر من نفعهما)<sup>(١)</sup>.



٣) تقديم الإثم على النفع؛ تقديمًا لما هو أهم، وتعجيلًا لقبحه، وتنبهًا إليه في مقابلة اهتمامهم بمنافعها، قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): «وصفها بما فيها من الإثم والمنفعة تنبيهًا لهم؛ إذ كانوا لا يذكرون إلا محاسنها، فيكون تهيئة لهم إلى ما سيرد من التحريم»<sup>(٢)</sup>.

٤) إضافة الإثم إلى ذات الخمر (فيهما إثم)؛ مبالغة في التقييح، وإنما الإثم يحصل فيما يؤول إليه شربه من العداوة والبغضاء وترك الصلاة وغير ذلك من الآثام<sup>(٣)</sup>.

٥) وصف الإثم بالكِبَر وبالكثرة على القراءتين (كبير، وكثير)<sup>(٤)</sup>، وهذا يشعر بالتهويل؛ فأثامه كثيرة، وكل إثم منها عظيم، نقل البقاعي (ت ٨٨٥هـ) عن الحرالي قوله: «في قراءتي الباء الموحدة والمثلثة إنباء عن مجموع الأمرين، من كبر المقدار وكثرة العدد، وواحد من هذين مما يصد ذا الطبع الكريم والعقل الرصين عن

(١) ينظر في تفسير الآية: تفسير القرآن العظيم للماتريدي، والكشاف للزمخشري، وتفسير الرازي، وأنوار التنزيل للبيضاوي، والبحر المحيط لأبي حيان.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (سورة البقرة: ٢١٩).

(٣) ينظر في تفسير الآية: جامع البيان للطبري، والوجيز للواحدي، وأحكام القرآن لابن العربي، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

(٤) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/ ٢٢٧).

الإقدام عليه، بل يتوقف عن الإثم الصغير القليل فكيف عن الكبير الكثير» (١).

٦) تقييد المنافع بالناس وإطلاق الإثم عن التقييد بهم، وهذا يشعر أيضاً بالتهويل؛ إذ الإثم يعم ضرره الناس وغيرهم.

٧) ذكر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) أن من فوائد ذكر المنافع في سياق تقييد الخمر: «تأنيس المكلفين عند فطامهم عن أكبر لذائذهم؛ تذكيراً لهم بأن ربهم لا يريد إلا صلاحهم دون نكايتهم، كقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦]، وقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣]» (٢).

وأما آية النساء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [سورة النساء: ٤٣]، فجاء في سبب نزولها أن رجلاً من الأنصار دعا علياً وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما، فسقاها قبل أن تحرم الخمر، فأممهم علي في صلاة المغرب، فقرأ: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [سورة الكافرون: ١]، فخلط فيها، فنزلت: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (٣).

ولم تتعرض الآية للنهي عن الخمر، وإنما نهت عن قربان الصلاة حال السكر؛ فكانت مرحلة ثالثة للحد من شرب الخمر عند من يتعاطاه من المؤمنين، وجاءت

(١) نظم الدرر، للبقاعي (سورة البقرة: ٢١٩).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (سورة البقرة: ٢١٩).

(٣) أخرجه الترمذي (ح ٣٠٢٦) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وصححه ابن العربي

في أحكام القرآن (١/ ٥٥٢)، والألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٣٠٢٦).

جملة من الأساليب التي تحقق هذا المقصد، ومنها:

(١) تصدير الكلام بالنداء والتنبيه (يا أيها)؛ اعتناء بشأن الحكم، وقال أبو

السعود (ت ٩٨٢هـ): «للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي» (١).



وجاء النداء بوصف الإيمان ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ استمالة لقلوبهم

وترغيباً في استجابتهم، لأن اجتناب المنهي عنه من لوازم الإيمان، وفعله نقص فيه،

والمخاطبون ابتداء هم الصحابة ﷺ، الذين هم أحرص الناس على إيمانهم أن

يصيبه نقص. كما أن الحكم يتعلق بأعظم ركن من أركان الإيمان بعد الشهادتين.

(٢) الأسلوب الطلبي بصيغة النهي ﴿لَا تَقْرُؤُوا الصَّلَاةَ﴾، والطلب أمراً أو نهياً

يشعر بالرغبة الجازمة بتحقيق المطلوب فعلاً أو تركاً، والناهي هنا هو الله عز وجل،

والمخاطب هم الصحابة، الذي يحبون ما يحبه الله ويكرهون ما يكرهه الله ويسعون

في مرضاة الله؛ لإيمانهم به.

(٣) جاء النهي عن قُرْب الصلاة ﴿لَا تَقْرُؤُوا الصَّلَاةَ﴾، لا عن الصلاة، فلم يُقَل:

لا تصلوا، وذهب بعض العلماء إلى أن المنهي عنه مكان الصلاة كالمسجد، وذهب

آخرون إلى أن المنهي عنه فعل الصلاة، ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿حَتَّى تَعْمُوا مَا

تَقُولُونَ﴾؛ لأنه متعلق بذات الصلاة لا موضعها. وعلى القول بأن المراد المكان

فإنه إذا نُهي عن حضور مكان الصلاة كان المنع منها أولى وأحق (٢).

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (سورة النساء: آية ٤٣)، وينظر: روح المعاني للألوسي.

(٢) ينظر في تفسير الآية: تفسير القرآن العظيم للماتريدي، وأحكام القرآن لابن العربي، والجامع

لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان، ونظم الدرر للبقاعي، وإرشاد العقل

السليم لأبي السعود.

والذي يظهر أن النهي عن قربان الصلاة حال السكر نهى عن الصلاة نفسها، وعن قربان مكانها، وقربان ميقاتها، إذا كان الوقت لا يكفي لزوال السكر، وليس لهم بعد ذلك إلا أن يشربوها بعد صلاة العشاء، وهو وقت نوم؛ وأما أول النهار فوقت عمل، وما بين الصلوات من الظهر إلى العشاء أوقات متقاربة، قد لا تكفي لزوال السكر.

وهذا النهي أيضاً عن قربان الصلاة حال السكر يقتضي النهي عن شرب المسكر إذا قربت الصلاة، لكن القرآن لم يتوجه بالنهي إلى الخمر، فلم يقل: لا تشربوا الخمر عند الصلاة؛ لأن توجه النهي إلى الصلاة أشق على الصحابة رضوان الله عليهم من النهي عن الخمر، وفي ذلك تقييح شديد له حين يقابل بترك ركن عظيم من أركان الإيمان.

فكان البيان بقوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ [سورة النساء: ٤٣] أبلغ في تقييح الخمر والتضيض على تركه أو التخفيف منه استعداداً لتركه بالكلية، قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ): «إنما اختير هذا الفعل دون: لا تُصَلُّوا، ونحوه؛ للإشارة إلى أن تلك حالة منافية للصلاة، وصاحبها جدير بالابتعاد عن أفضل عمل في الإسلام، ومن هنا كانت مؤذنة بتغيير شأن الخمر، والتنفير منها، لأن المخاطبين يومئذ هم أكمل الناس إيماناً، وأعلقهم بالصلاة، فلا يرمقون شيئاً يمنعهم من الصلاة إلا بعين الاحتقار» (١).

وأما آية المائدة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (سورة النساء: آية ٤٣)، وينظر: تفسير القرآن الحكيم

(المنار)، لرشيد رضا.

رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ أَلْعَادََةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٣١﴾



فكانت المرحلة الاخاتمة الحاسمة، التي تعلن التحريم، ولا تقبل الترخّص والتأوّل، وأسهم النظم في هذا الإعلان الحاسم من وجوه، منها:

(١) الخطاب بوصف الإيمان؛ استمالة لقلوبهم، وتذكير بما يقتضيه الوصف من

الاستجابة لله جل جلاله ورسوله ﷺ.

(٢) الإخبار عن الخمر بأنها رجس؛ تقييحاً لها، وتمهيداً للأمر باجتنابها، قال الجصاص (ت ٣٧٠هـ): «الرجس: اسم في الشرع لما يلزم اجتنابه، ويقع اسم الرجس على الشيء المستقذر النجس، وهذا أيضاً يلزم اجتنابه، فأوجب وصفه إياها بأنها رجس لزوم اجتنابها»<sup>(١)</sup>.

وجاء الخبر بأسلوب القصر، وهو من قصر الموصوف على الصفة، وكان الخمر والمذكورات معها لا توصف بغير الرجس؛ مبالغة في التنفير والتحريم.

وجاء القصر بـ"إنما" وهي تأتي عادة فيما من شأنه أن لا يجهل.

(٣) قرنها بالأصنام التي تعبد من دون الله عز وجل، وهي من أعظم المحرمات التي اجتنبها المؤمنون، وقد جاء وصفها أيضاً بالرجس في مثل قوله سبحانه:

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠].

(٤) إضافتها إلى عمل الشيطان؛ تأكيداً لرجسيتها، وتقييحاً لتعاطيها، وقد تقرر لديهم أن الشيطان عدو لهم؛ لا يأتي إلا بما هو شرّ قبيح، ومثلهم لا يطيعونه

(١) أحكام القرآن، للجصاص (سورة المائدة: آية ٩٠).



فيما يزينه لهم، قال أبو حيان (ت ٧٤٥هـ): «لما كان الشيطان هو الداعي إلى التلبس بهذه المعاصي والمغري بها جُعِلت من عمله وفعله، ونسبت إليه على جهة المجاز، والمبالغة في كمال تقييحه» (١).

ثم بيّن في الآية التالية عمل الشيطان؛ من إيقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وجاء بأسلوب القصر تأكيداً للخبر، وجاء القصر بـ "إنّما" لأن هذه الآثار الدينية والدنيوية المذكورة مما علم وقوعها.

٥) الأمر باجتنابها (فاجتنبوه)، وهو يقتضي الإيجاب، وعاد الضمير في فعل الأمر على "الرجس" ولم يعد على الخمر وما بعدها، فلم يقل: فاجتنبوها؛ تأكيداً لكونها رجس، قال السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ): «هذه الأشياء جُعِلت نفس الرجس؛ مبالغة» (٢).

ولماذا جاء البيان القرآني بلفظ الاجتناب؟

قال القرطبي: «قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ يقتضي الاجتناب المطلق، الذي لا ينتفع معه بشيء بوجه من الوجوه؛ لا بشرب ولا بيع ولا تخليل ولا مداواة ولا غير ذلك» (٣)، وقال رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ): «جعل الأمر بتركها من مادة الاجتناب، وهو أبلغ من الترك؛ لأنه يفيد الأمر بالترك مع البعد عن المتروك، بأن يكون التارك في جانب بعيد عن جانب المتروك» (٤).

(١) البحر المحيط، لأبي حيان (سورة المائدة: آية ٩١)، وينظر في تفسير الآية: أحكام القرآن للجصاص.

(٢) الدر المصون، للسمين الحلبي (سورة المائدة: آية ٩٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (سورة المائدة: آية ٩٠).

(٤) تفسير القرآن الحكيم (المنار)، لرشيد رضا (سورة المائدة: آية ٩٠).

٦) ترتيب الفلاح على اجتنابها؛ ترغيباً في الاستجابة للأمر، وإذا كان اجتنابها من الفلاح؛ فإن تعاطيها من الخيبة والخسار.

٧) ختم التحريم باستفهام يؤكد الأمر، ويشعر بالوعيد: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾



﴿١١﴾، قال مقاتل (ت ١٥٠هـ): «هذا وعيد، بعد النهي والتحريم»<sup>(١)</sup>، ولذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع الآية: انتهينا، انتهينا، قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): «وقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ من أبلغ ما ينهى به، كأنه قيل: قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون؟ أم أنتم على ما كنتم عليه؛ كأن لم توعظوا ولم تزجروا؟»<sup>(٢)</sup>

وبعد هذا التحليل لكل مرحلة من المراحل الزمنية المتدرجة في تحريم الخمر، يتبين كيف جاءت الأساليب والمضامين أيضاً متدرجة متناسبة مع التحول من الإباحة في النحل، إلى التنفير في البقرة وما بعدها، ثم إلى التحريم الجزئي المقيد بزمان ومكان في النساء، ثم إلى التحريم الشامل في كل زمان ومكان في المائدة. نجد مثلاً تحولاً مصطلحياً من لفظ السَّكَّر في آية النحل أثناء الإباحة، إلى الخمر أثناء التنفير والتحريم، كما قال ابن عباس رضي الله عنه (ت ٦٨هـ) في تفسير الآية: «إن الناس كانوا يسمون الخمر: سَكَّرًا، وكانوا يشربونها، ثم سماها الله بعد ذلك: الخمر؛ حين

(١) ينظر في تفسير الآية: موسوعة التفسير المأثور.

(٢) الكشف، للزمخشري (سورة المائدة: آية ٩١)، وينظر في تفسير الآية: المحرر الوجيز لابن

عطية، وأحكام القرآن لابن العربي، وتفسير الرازي.

حُرِّمَتْ» (١).

ونجد أيضًا ترقياً في التنفير؛ من الوصف بالإثم في آية البقرة، إلى الوصف بالرجس وعمل الشيطان في آية المائدة.  
وترقيًا من الإيجاز في المواضع الثلاثة الأولى، إلى الإطناب في الموضوع الأخير (سورة المائدة).

وأخيرًا: الترقى من الأسلوب الخبري المعرفي الهادئ القائم على عرض الواقع أو على السؤال والجواب في النحل والبقرة، إلى أسلوب الخطاب الطلابي الجازم القائم على النداء والأمر والنهي والاستفهام، في النساء والمائدة.  
وفي هذا إرادة للتحول من فضاء العلم إلى فضاء العمل، ومن قوة الفكرة إلى قوة السلوك.

وهذه التحولات الأسلوبية والمضمونية في خطاب المؤمنين خاصة؛ كما أنها جاءت على حسب الترتيب النزولي، فهي أيضًا على حسب الترتيب المصحفي، فاشترك الترتيبان في الترقى في خطاب المؤمنين بتحريم الخمر.

#### سابعاً: دراسة تنامي الموضوع وتنوع قضاياها بين السور:

هل كانت مضامين الموضوع واحدة في كل مواضعه في السور؟ أو أن كل موضع يأتي بمضمون مختلف عن المواضع الأخرى؛ مما يعني أن إيراد الموضوع في أكثر من موضع لم يكن تكرارًا مطابقًا، وإنما الموضوع يتنامى ويتكامل بحسب سياق كل موضع؟

هذا ما يتناوله هذا الإجراء. وإذا كنا نظرننا في الإجراء السابق إلى التحول في نظم

(١) ينظر في تفسير الآية: جامع البيان للطبري، وموسوعة التفسير المأثور، وأضواء البيان

الموضوع بناء على التدرج الزمني؛ فإننا في هذا الإجراء نركز على اختلاف مضامين الموضوع بين السور، بغض النظر عن ذلك التدرج.

ونضرب بآيات التدبر مثلاً على هذا الإجراء، إذ بعد النظر فيها يتضح أن كل موضع للموضوع يحمل مضموناً مختلفاً عن المواضع الأخرى، وإن اشتركت جميعاً في إبراز شأن التدبر للقرآن سبيلاً للهداية إلى الطريق المستقيم، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

#### (١) تنوع المخاطبين:

لم يكن الخطاب بتدبر القرآن في جميع المواضع لفئة واحدة، بل كان كل موضع أو أكثر يختص بفئة مختلفة عن الأخرى، ففي سورة «ص» كان الخطاب على قراءة للمؤمنين، وعلى القراءة الأخرى لهم أو للمشركين أو لهما، وفي سورة «المؤمنون» الخطاب للمشركين، وفي سورتي «النساء» و«محمد» الخطاب للمنافقين.

وعلى هذا فإن التدبر لا يختص بالمؤمنين فحسب، وإنما يخاطب به جميع الناس على اختلاف عقائدهم؛ إذ القرآن ما نزل إلا هداية إلى الطريق المستقيم، والسبيل إليها يكون بالتدبر ثم التذكر.

#### (٢) غاية التدبر:

تختلف الغاية من التدبر بين المؤمنين والمنافقين والمشركين.

أما المنافقون والمشركون فالغاية من إرادة تدبرهم للقرآن - كما أفادته جميع الآيات - إثبات النبوة لمحمد ﷺ، وصدقه بأن القرآن وحي من عند الله جل جلاله، ومن ثم تصديقه والإيمان به.

وأما المؤمنون فإنهم يصدقون بالنبى ﷺ وبما جاء به من عند الله عز وجل،

فالغاية من إرادة تدبرهم ليس هذا، وإن كان فيه مزيد يقين لهم، وإنما الغاية التذكر بالقرآن، والعمل بهداياته، كما قال سبحانه في آية "ص": ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَرُواْ بِآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٣٦)، واللّب: العقل الزكيّ الخالص من الشوائب، وأولو الألباب: أصحاب العقول الراجحة الزكية<sup>(١)</sup>، والمؤمنون هم أولو الألباب حقيقة، الذين يتعظون بالقرآن فيتبعونه ويعملون به، كما قال سبحانه: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [الطلاق: ١٠]، وقال عنهم: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة الزمر: ١٨]، ففي هاتين الآيتين قصر الله جل جلاله وصف "أولي الألباب" على المؤمنين؛ لأنهم هم الذي ينتفعون بتدبر القرآن، وأما غيرهم إذا لم يتذكروا فيهدوا فكأنه لا عقول لهم، وهذا كقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]، فمن لم يتذكر فكأنه لا قلب له أصلاً.

### ٣) نوع التدبر:

من خلال تحليل مواضع التدبر وسياقاتها اتضح أن هناك نوعين من التدبر، يمكن أن يُعبر عنهما: بالتدبر الكلي أو الإجمالي، والتدبر التفصيلي. أما التدبر الكلي فهو الذي يهدف إلى إثبات كون القرآن من عند الله جل جلاله، وأنه ليس من عند غيره أيًا كان، ويكون بالنظر في مجمل معانيه ومبانيه، ليتبين أن لا اختلاف في القرآن بينها.

وهذا ما خوطب به المنافقون والمشركون في سور "النساء"، والمؤمنون، ومحمد" حينما كان السياق في حجاجهم، فجاء تقييد التدبر - كما سبق -

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (مادة: لب).

بـ"القرآن" أو "القول" على سبيل الإجمال.

وأما التدبر التفصيلي فيهدف إلى تتبع سور القرآن سورة سورة وآية آية للتذكر بها والعمل بأحكامها وآدابها وهداياتها، وهذا ما جاء في سورة "ص"؛ إذ جاء تقييد التدبر بـ"الآيات".

٤) موانع التدبر والانتفاع به:

أشارت الآيات إلى بعض ما يمنع من التدبر كما هو عند المنافقين، أو يمنع من الانتفاع به لو حصل شيء منه كما هو عند المشركين، ومن ذلك:

١) الاستكبار:

كما في سورة "المؤمنون"، حيث جاء قبل آية التدبر وصف المشركين به، قال الله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰٓ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلِيمًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ . والاستكبار طلب الكبر، وقد قال النبي ﷺ فيه: «الكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَعَمَطُ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

ومعنى "بَطْرُ الْحَقِّ" إنكاره والامتناع عن قبوله والانقياد إليه؛ تعاضماً وتجبّراً، و"عَمَطُ النَّاسِ" احتقارهم وازدراؤهم، قال ابن رجب (ت ٧٩٥هـ): «وذلك يحصل من النظر إلى النفس بعين الكمال، وإلى غيره بعين النقص»<sup>(٢)</sup>، فالاستكبار فيه استعظام للنفس واستحقار للغير.

وهذا الاستكبار من المشركين يمنعهم من الاستماع إلى القرآن أو تدبره أو الانتفاع به، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتَىٰ

(١) أخرجه مسلم (ح ٩١).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/٣٠٧) وينظر: (٢/٢٧٥).

عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ [الجاثية: ٧-٩]، وقال مصورًا حال بعضهم لما استمع إلى القرآن وعرف أنه ليس من عند النبي ﷺ، لكنه استكبر: ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَأَرَّهُنَّهَا صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ [المدثر: ١١-٢٥].

قال الماتريدي (ت ٣٣٣هـ): «جائز أن يكون قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ أي: قد تدبروا القول، لكنهم تعاندوا وكابروا واستكبروا ولم يخضعوا له؛ أنفأ واستكبارًا. أولا ترى أنه إذا قرع أسمعهم قوله: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] وقوله: ﴿قُل لِّئِن أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ الآية [الإسراء: ٨٨] لا يحتمل أن يدبروا فيه؟ دل أنهم قد تدبروا فيه، وعرفوه، إلا أنهم تعاندوا، وكابروا، واستكبروا؛ أنفأ منهم واستكبارًا واستتكافًا عن اتباعه والخضوع له» (١).

#### ٢) الختم على القلوب:

وهو عقوبة عظيمة، تحل بالذين بلغوا الغاية في الاستكبار عن الحق والعداء للدين والكيد للمؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْعِزِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف:

(١) تفسير القرآن العظيم، للماتريدي (سورة المؤمنون: آية ٦٨).

وذكر الله عز وجل هذا المانع عن المنافقين في سورة "محمد" فقال: ﴿ أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢٤).



و"أم" هنا المنقطعة، بمعنى "بل" للإضراب، والجملة استفهامية محذوفة منها الهمزة، والغرض منها التقرير، قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): ("و"أم" بمعنى "بل" وهمزة التقرير؛ للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر<sup>(١)</sup>)، والمراد أنهم لن يتدبروا، ولو تدبروا فلن ينتفعوا؛ لأن قلوبهم قد أغلقت عن الهدى، وقد قال الله عنهم في الآية التي سبقت آية التدبر: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ (٢٣) ﴿ فقد بلغ بهم الحال من شدة الكفر والمكر والكيد والصدود عن الدين ما اقتضى عقوبتهم بأن طبع الله على قلوبهم، فجاء قوله سبحانه: ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢٤) ﴿ تأكيداً لصممهم وعمى أبصارهم، فهم على ذلك لا يعقلون ولا يفقهون، قال قتادة (ت ١١٨هـ) في تفسير الآية: ﴿ أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢٤) ﴿ إذا، والله، يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله، لو تدبره القوم فعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمشابهة، فهلكوا عند ذلك<sup>(٢)</sup>.

وقد صور القرآن شدة انغلاق القلوب بأبلغ تصوير؛ فاستعار الأقفال للقلوب، قال ابن القيم (ت ٧٥١هـ): «كأن القلب بمنزلة الباب المرتجح، الذي قد ضرب عليه قفل؛ فإنه ما لم يفتح القفل لا يمكن فتح الباب والوصول إلى ما وراءه. وكذلك ما

(١) الكشاف، للزمخشري (سورة محمد: آية ٢٤).

(٢) ينظر في تفسير الآية: جامع البيان للطبري، وموسوعة التفسير المأثور.



لم يرفع الختم والقفل عن القلب لم يدخل الإيمان والقرآن»<sup>(١)</sup>، ونقل ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) عن مجاهد (ت ١٠٤هـ) قوله: «الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله»<sup>(٢)</sup>.

وفي البيان القرآني بحرف الاستعلاء (على) إشارة إلى تمكن الأقفال من القلوب.

وأضاف الأقفال إلى ضمير القلوب؛ للدلالة على أنها أقفال مختصة بها، لا تجانس الأقفال المعهودة، وهي أقفال الكفر والنفاق، ولذا حسن تقديم المسند (على قلوب) على المسند إليه (أقفال) ليتصل به ضمير المسند، قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): «إضافة «أقفال» إلى ضمير «قلوب» نظم بديع؛ أشار إلى اختصاص الأقفال بتلك القلوب، أي ملازمتها لها، فدل على أنها قاسية»<sup>(٣)</sup>.



(١) شفاء العليل، لابن القيم (١/٣١٤)، وينظر في تفسير الآية: المحرر الوجيز لابن عطية، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

(٢) زاد المسير، لابن الجوزي (سورة محمد: آية ٢٤).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (سورة محمد: آية ٢٤)، وينظر في تفسير الآية: الكشاف

للزمخشري، وتفسير الرازي، وأنوار التنزيل للبيضاوي، وإرشاد العقل السليم لأبي السعدي



## الخاتمة

الحمد لله الذي يسر إنجاز هذا البحث، الذي يهدف إلى تقديم منهجية مقترحة لدراسة الموضوع القرآني دراسة بلاغية، وقد اشتمل على تمهيد تناول مصطلحات البحث (المنهج، الدراسة البلاغية، الموضوع القرآني)، وآلية اختيار الموضوع القرآني، وأهمية الدراسة الموضوعية للقرآن. ثم المبحث الأول تناول سمات الموضوع القرآني، والمبحث الثاني تناول الأسس المنهجية للدراسة البلاغية للموضوع القرآني، والمبحث الثالث تناول إجراءات الدراسة البلاغية للموضوع القرآني.

وتوصل البحث إلى النتائج الآتية :

(١) من السمات المهمة للموضوع القرآني المؤثرة في دراسته: تعدد الموضوعات في السورة، وتفرق الموضوع وتصريفه في السور، وتنوع الموضوعات وشمولها لكل مناحي الحياة، وتعالق الموضوعات، وتنوع أساليب البيان عن الموضوع.

(٢) اقترح البحث خمسة أسس منهجية تقوم عليها الدراسة البلاغية للموضوع القرآني، وهي:

- أن القرآن كلام الله جل جلاله.
- أن وظيفة البلاغي المتلقي: الكشف عن مقاصد الرب جل جلاله.
- الوحدة الكلية للقرآن.
- وحدة السورة.
- السياق.

(٣) اقترح البحث جملة من الإجراءات التي يتبعها الدارس للموضوع القرآني، وهي:

- استقراء آيات الموضوع وتصنيفها.

- الكشف عن سياقات الموضوع المقامية والمقالية.
  - تحليل العلاقات التناسبية للموضوع.
  - دراسة المصطلحات الرئيسة للموضوع ودلالاتها السياقية.
  - تحليل نظم الموضوع على اختلاف مواضعه تحليلًا إجماليًا.
  - رصد الظواهر الأسلوبية في البيان عن الموضوع على اختلاف مواضعه.
  - بيان وجوه الاختلاف بين المواضع في البيان عن الموضوع.
  - رصد التحولات الموضوعية والأسلوبية بحسب النزول.
  - دراسة تنامي الموضوع وتنوع قضاياها بين السور.
- ومهما يكن الجهد الذي بذلته للتوصل إلى هذه المنهجية فإن القصور لازم ولا بد، وإني لأرجو من المهتمين بمثل هذا النوع من الدراسات المنهجية أن يقوموها، ويطوروها، ويهدوني ملحوظاتهم، وما أحسنها من هدية!
- أسأل الله جل جلاله أن يجعله عملاً صالحاً، وأن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم،  
والحمد لله رب العالمين.



## ثبت المصادر والمراجع

- ١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (الإبانة الكبرى)، ابن بطة العكبري، تحقيق: عادل آل حمدان، دار المنهج الأول، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.
- ٢- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، شهاب الدين البوصيري، تحقيق: دار المشكاة، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٣- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ٤- أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.
- ٥- أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ٧- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٨- الأسس المنهجية لدراسة البلاغة القرآنية، يوسف العليوي، دار كنوز إشبيلية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ.
- ٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ١٠- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- ١١- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.



- ١٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد صبحي حلاق ومحمود الأطرش، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٣- إيدولوجيا الحداثة في ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن، عبدالرحمن الحاج، بحث ضمن سجل: خطاب التجديد الإسلامي: الأزمنة والأسئلة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ١٤- الإيضاح لتلخيص المفتاح، الخطيب القزويني، ضمن شروح التلخيص، دار السرور، بيروت، د.ت.
- ١٥- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د. عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ١٦- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، تحقيق: أحمد رسلان، القاهرة، ١٤١٩هـ.
- ١٧- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ١٨- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- ١٩- بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان الخطابي، تحقيق: يوسف العليوي، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ.
- ٢٠- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- ٢١- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جُزَي الكلبي، تحقيق: د. محمد بن سيدي مولاي، دار الضياء، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ.
- ٢٢- التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت.
- ٢٣- تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، مصر، ١٩٩١م.

٢٤- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

٢٥- تفسير القرآن الحكيم (المنار)، محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٦هـ.

٢٦- تفسير القرآن العظيم (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: فاطمة الخيمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢٧- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

٢٨- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. أحمد الكومي ود. محمد القاسم، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٢٩- تهذيب اللغة، الأزهرى، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والنشر.

٣٠- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٣١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، ابن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله التركي بالتعاون مع دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٢- جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٣٣- جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٩هـ.

٣٤- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله القرطبي، تحقيق: د. عبدالله التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.



- ٣٥- خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، أنور الجندى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- ٣٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٣٧- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- ٣٨- دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر الألمعي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ.
- ٣٩- دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، د. عبدالمحسن المطيري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- ٤٠- دلالة السياق، د. ردة الله الطلحي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٤١- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاکر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
- ٤٢- دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، المطبعة الحميدية، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
- ٤٣- الرسالة الشافية، عبد القاهر الجرجاني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد سلام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- ٤٤- روح المعاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية، ١٤٠٥هـ.
- ٤٥- زاد المسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.



٤٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.

٤٧- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، تحقيق: أحمد شاکر وإبراهيم عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٤٨- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الرضي الإسترابادي، تحقيق: د.حسن الحفظي ود.يحيى بشير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٩- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، تحقيق: زاهر بلفقيه، الطبعة الثانية، ١٤٤١هـ.

٥٠- الصحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.

٥١- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن النسخة السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٢- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥٣- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، تركيا، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.

٥٤- الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٥٥- ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.



٥٦- العلاقات النصية في لغة القرآن، د. أحمد عزت يونس، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

٥٧- علم مقاصد السور، د. محمد الربيعة، جامعة القصيم، ١٤٢٣هـ.

٥٨- علم مقاصد السور، د. عبدالمحسن المطيري، جامعة الكويت.

٥٩- عودة الحجاب، محمد أحمد المقدم، دار طيبة، الرياض، الطبعة العاشرة، ١٤١٦هـ.

٦٠- غريب الحديث، أبو سليمان الخطابي، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٦١- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٦٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، تحقيق: أبو محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦٤- الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٦٥- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت.

٦٦- مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.

٦٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.

٦٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

٦٩- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، نشر معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٧٠- المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبدالستار فتح الله سعيد، دار التوزيع، بورسعيد، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

٧١- مسالك الكشف عن مقاصد السور، رشيد الحمداوي، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م، على موقع الرابطة (www.arrabita.ma).

٧٢- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم، دار المعرفة، بيروت.

٧٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٧٤- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧٥- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني، تنسيق: د. سعد الشثري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧٦- معالم التنزيل، البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٧٧- معاني القراءات، الأزهري، تحقيق: د. عيد درويش ود. عوض القوزي، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٧٨- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.



- ٧٩- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- ٨٠- معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ.
- ٨١- المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية، مصر.
- ٨٢- معهود العرب في الخطاب وإشكالية قراءة النص الشرعي، للدكتور محمد الخطيب، بحث محكم ضمن: مجلة الترتيل، إصدار مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، العدد الثاني، ذو القعدة ١٤٣٥هـ.
- ٨٣- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ.
- ٨٤- مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- ٨٥- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي الحلبي، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٨٦- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ.
- ٨٧- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٨٨- المكي والمدني في القرآن الكريم، د. محمد بن عبدالرحمن الشايع، د.ن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٨٩- المكي والمدني في القرآن الكريم، عبدالرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- ٩٠- المكي والمدني من السور والآيات، د. محمد الفالح، إصدار الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، نشر دار التدمرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ.
- ٩١- مناهج البحث العلمي، عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧ م.
- ٩٢- منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. سامر رشواني، دار الملتقى، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- ٩٣- الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٩٤- موسوعة التفسير المأثور، إصدار معهد الإمام الشاطبي بجدة، نشر دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ.
- ٩٥- موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، إشراف وتحرير مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٤٠ هـ.
- ٩٦- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تصحيح: علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٩٧- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، د. عبدالنعم خليل، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ م.
- ٩٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصورًا عن نسخة دائرة المعارف العثمانية بالهند.
- ٩٩- النفي في القرآن: دراسة بلاغية، أحمد بن صالح السديس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٠ هـ.
- ١٠٠- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن الماوردي، مؤسسة الكتب الثقافية ودار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.



١٠١- الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية، سامي العجلان، جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٠٢- الوحدة الموضوعية في القرآن، د.محمد محمود حجازي، دار الكتب

الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.

